

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي الياس سidi بلعباس

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



دور القنصليات الأجنبية في خدمة

قضايا الأسرى في الجزائر

1830 - 1789

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

مشروع: تاريخ дипломатии и международные отношения

خلال القرنين 19 م و 20 م

تحت إشراف

إعداد الطالب :

د. شقرور الجيلالي

بنور حبيب

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سidi بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أبد إبراهيم لونسي
مشرفا ومقررا	جامعة سidi بلعباس	أستاذ محاضر - أ -	د. الجيلالي شقرور
مناقشها	جامعة سidi بلعباس	أستاذ محاضر - أ -	د. نور الدين عسال
مناقشها	جامعة سidi بلعباس	أستاذة محاضرة - أ -	د. حياة قنون
مناقشها	جامعة سidi بلعباس	أستاذ محاضر - أ -	د. بن عتو بلبراءات

السنة الجامعية: 1435 – 1436 هـ / 2014 – 2015 م

مقدمة:

يبدو الاقتصر على دراسة وكتابة تاريخ الجزائر المحلي صورة ناقصة ومبتوة، فالتاريخ الدولي في إطار العلاقات الخارجية لأية دولة يعني التعبير عن مظاهر الرقي السياسي والذي يعكس لنا الأوضاع الداخلية وتطور الداخل الذي سجلته الإيالة خلال مراحل عمرها (القرن 17، 18م)، فالاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد انعكست آثاره الإيجابية على زيادة قوة الإيالة وتطورها لدرجة فرض هيمنتها على الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وضع الجزائر وتنامي قوتها جعلها تعمل على ضبط وتحديد علاقاتها من الأطراف الأوروبية باعتبارهم شركاء في المتوسط، علاقات واجهتها صعوبات جمة فكان على الطرفين ضبطها من خلال اتفاقيات ومعاهدات سلم وتجارة مع معظم الدول الأوروبية خاصة خلال القرن 18م.

تعتبر دراسة تاريخ علاقات إيالة الجزائر الدبلوماسية مع الدول الأوروبية من الدراسات الصعبة، فهو ليس كدراسة خاصة بمدينة أو معلم تاريخي أو فئة اجتماعية، فالوثائق التي يجب الاعتماد عليها لدراسة هذا الموضوع نجدها منتشرة في مختلف دور الأرشيف لكل الدول التي تربطها بالجزائر علاقات (إسبانيا، البرتغال، فرنسا، إنجلترا، السويد، هولندا، وبعض المدن الإيطالية، إلخ.).

إذا كانت المادة التاريخية كافية لمعالجة هذه الدراسة فإن من زاوية النقد الذاتي أراها ناقصة و غير متكاملة عن هذه العلاقات و لازالت شحيحة في ظل غياب وضياع الأسطوغرافيا المحلية عن العلاقات الدبلوماسية، فرغم الحذر في التعامل مع الوثائق الأجنبية إلا أننا نخشى الوقوع في فخ المعلومات من وجهة نظر الآخر.

بحكم الموقع الجيوسياسي للجزائر جعل لها استراتيجية خاصة في حوض البحر المتوسط، كونها تمثل حلقة وصل بين المشرق والمغرب وبين أوروبا و إفريقيا، موقع حدد اتجاه سياستها الاقتصادية والسياسية فقد ساعد على تبني نشاط متوجه نحو البحر

(عسكرياً وتجارياً) ونقطة انطلاق للمغامرة البحرية المتوسطية (قرصنة)، كل ذلك ساهم في فتح باب العلاقات مع العالم الخارجي.

إننا ندرك في هذا السياق أهمية موضوع العلاقات الدبلوماسية الذي لا يزال مجال بحث خصب اعتمد به المدرسة الغربية التي صورت إِيَالَةُ الجَزَائِرُ بوكر القرصنة وحكامها وقراراً صنتها بالمتواحبين وغرس هذا التصور في أذهان الطفولة الأوروبية وتركيزهم على أنها إِيَالَةُ قَامَتْ عَلَى عَادِيَاتِ القرصنة القائم على السلب والنهب وجلب الأسرى بهدف ضرب أقوى إِيَالَاتِ شَمَالِ إِفْرِيقِيَا وتأليب الرأي العام الأوروبي ضدها.

يعود اختيارنا لموضوع الرسالة بـ "دور الفنصليات الأجنبية في خدمة قضايا الأسرى في الجزائر من 1789 إلى 1830" ناتج عن ميول واهتمامات خاصة بالإِيَالَة في الميدان الدبلوماسي تتدخل فيه علاقات متعددة المجالات تتماشى مع التيار дипломатический и السياسي لا يمكن أن يفصل عن المحور الاقتصادي والبحري، كذلك جاء هذا الاهتمام لعدم وجود دراسات خاصة بالموضوع إلا إذا كانت خطوط عريضة ومعلومات مبعثرة كان لابد من جمعها وتحصيلها في شكلها النهائي.

فموضوع الدبلوماسية شيق، فهي بمفهومها الذي يتماشى مع القانون الدولي هي مجموعة الاجراءات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول تهدف إلى خدمة المصالح الاقتصادية والسياسية العامة، كما تعد الأداة الأساسية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية بهدف استئالة المتحالفين على أساس التفاوض والعمل على تعزيز العلاقات بين الدول وتطورها.

وقد وجدت فيها الدول الأوروبية الأداة الفعالة لاكتساح واحتراق العوالم الداخلية اقتصادياً وسياسياً للمجتمعات الأخرى عن طريق قناصلها الذين تجلت مهمتهم في معرفة ذهنية المجتمعات الشرقية (الجزائرية) بحكم الاحتلال والإِقامة بها.

قد حصرنا الموضوع من 1789 إلى 1830 م قصد دراسة ومسح لمرحلة جد حافلة بالأحداث الدولية من تلك العلاقات الفنصلية (القناصل) بمختلف الأوساط إلى العلاقات بين الإِيَالَةُ و الدول الأوروبية سواء التي تجمعها بها علاقات سلم أو حرب.

كما شكلت مسألة الأسرى عامل من العوامل المؤثرة في العلاقات السياسية و الدبلوماسية بين الضفتين الشمالية و الجنوبية للحوض الغربي للمتوسط، ولعبت الآلة الدبلوماسية دوراً كبيراً (القنصليات الأجنبية) في عملية الافتداء و تفعيل الوساطة بغرض بلوغ أهدافها و المحافظة على مصالحها المنوحة من طرف الإيالة بموجب المعاهدات المبرمة بين الطرفين.

موضوع التمثيل القنصلي الأجنبي ومساعيه الدبلوماسية في خدمة قضايا الأسرى في الجزائر جعلنا نطرح جملة من التساؤلات المتمحورة حول حقيقة العلاقات الأوروبيية-الجزائرية في ظل المحور الأساسي مسألة الأسرى و أبعادها. هل يمكن الحديث عن فكر الدبلوماسية في إيالة الجزائر؟ أم أنه مجرد مبادرة منعزلة فرضتها الظروف الدولية؟

ما هي الدوافع التي حملت الدول الأوروبية عن طريق ممثليها في الجزائر على قبول الإهانة في دفع الهدايا العادلة والإلزامية على حد تعبيرهم؟ وما هو دور ومهام القنصل في إطار التمثيل дипломاسي في الجزائر؟ وكيف كانت معاملة هؤلاء الأسرى ومساهمة القنصليات في عملية الافتداء و التحرير وكيف أثرت قضية الأسرى على العلاقات الجزائرية الأوروبية وتوجيه السياسة الخارجية للجزائر؟

لتناول هذا الموضوع اعتمدنا المنهج التاريخي التحليلي وذلك لتحليل وتقدير مختلف جزئيات ومفردات هذا الموضوع وتحليل مختلف العلاقات بين الأطراف أو إظهار مفاهيم عديدة كالأسبقية في إطار التناقض القنصلي والحسانة، إلى جانب استعمال المنهج الإحصائي السردي التحليل في تتبع الإحصاءات العددية الخاصة بالأسرى وأوضاعهم، وتداعيات قضية الأسرى على علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية والخروج بنتائج موضوعية.

بغرض الإلمام بالموضوع و الإحاطة بمختلف جوانبه تم الاعتماد على ببليوغرافيا متنوعة باللغتين العربية و الفرنسية بحكم طبيعة الموضوع، وقد صنفناها على النحو التالي:

مخطوطات بالمكتبة الوطنية بالعاصمة (الحامة): فهي وثائق مهمة متوفرة على معلومات خاصة تتعلق بما كانت الدول الأوروبية تقدمه من إتاوات في شكل مواد حربية وهدايا إلى الإيالة.

### المصادر باللغة العربية:

مذكرات الأسرى الأوروبيون التي تكمن قيمتها في كونها تحتوي على شهادات أسرى قضوا مدة طويلة في الجزائر و سجلوا معلومات مهمة أفادتنا في معالجة الموضوع، بالإضافة إلى كتاب حمدان خوجة " المرأة " الذي تناول ما كان يفرض في الجزائر من رسوم جمركية، إلى جانب " مذكرات نقيب الأشراف " للشريف الزهار وإن كان سرداً كرونولوجيا للأحداث، إلا أنه يحتوي على معلومات تاريخية قيمة.

و أهم المصادر والتي أفادتنا إلى حد كبير أجنبية و مترجمة إلى اللغة العربية وهي عبارة عن مذكرات للفنصل الأمريكي شالر الذي زاول مهمته في الجزائر من 1816 إلى 1824 م، و إن كانت فترة متاخرة إلا أنها مليئة بالأحداث كان لها أثر على مسار العلاقات الجزائرية - الأوروبية في ظل التغيرات الدولية بعد مؤتمر فيينا 1815 و إكس لاشابيل 1818 م، لا سيما المؤتمر الأول الذي قن الأعراف الدبلوماسية الدولية، وهناك مذكرات الأسير كاتكارت الذي غطى مجموعة من الأحداث والمعلومات في معرفة أهم السجون الموجودة في الجزائر مصحوبة بوصف دقيق لها، وأهم الظروف التي وقعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية معايدة صلح مع الجزائر وبعدها إقامة فنصلية أمريكية بالجزائر والإشارة إلى أسلوب التفاوض والأطراف الفاعلة فيها.

و هناك مصادر أخرى تم استعمالها في إطار ما كتبه دبلوماسيون كانوا في الجزائر أمثال طاسي « TASSY » " تاريخ مملكة الجزائر " كان أحد موظفي الفنصلية الفرنسية في الجزائر سنة 1725 م لكن ما أفادنا هذا الكتاب هو حديثه عن الإجراءات المتعلقة بعمليات الافتداء، و أهم الموظفون القائمون على إدارة السجون ثم كتاب " الجزائر خلال القرن 18 م" لفوتييري باردي Venture de Paradis الذي زار الجزائر سنة 1788 في مهمة خاصة كمبوعث من طرف فرنسا لتسوية بعض الخلافات بين

الطرفين، فقام سنتين بمدينة الجزائر هي تقارير ومحركات خدمت الأهداف الاستعمارية في فترة لاحقة فالإعداد لعملية ضد الجزائر 1830 استغلت فيها هذه التقارير والمحركات.

و الخلاصة أن هذه الكتابات تشابهت في محتواها فقد ركزت على أحوال السكان وفاته، النشاط البحري وإحصاء عدد القطع البحرية، والتركيز على الحصون والتحصينات الدفاعية وهذا ما يعطي هذه الكتابات طابعاً استخباراتياً ذا أبعاد عسكرية تهدف إلى تعريف دولها بموقع القوة والضعف في الإيالة والاطلاع على إمكانياتها الاقتصادية (التجارة).

أما الكتابات التي ظهرت مع البداية الاحتلال أو في فترة متأخرة في مقدمتها ما كتبه أو ترجمه دوفولوكس Devoulx حول "سجل الغنائم" و"البحرية الجزائرية" و "الشارات" الأسطول، ومن الأدوات الأساسية في البحث مؤلفات كل من بلانتي Grammont: "قناصل فرنسا في الجزائر قبل الاحتلال"، مؤلفات غرامون "راسلات القناصل" وكلها تعكس حقيقة العلاقات بين الطرفين بالإضافة إلى قائمة من المراجع الخاصة وال العامة حول الجزائر والمقالات على العلاقات الجزائرية – الأمريكية ونظراً لوفرتها رتبناها في ببليوغرافيا البحث.

اطلاقاً من المادة المتحصل عليها اتبعنا الخطة التالية للإجابة على التساؤلات المطروحة وكشف النقاب عن العلاقات الدبلوماسية وحقيقة العلاقات الجزائرية – الأوروبية الظاهرة منها والخفية وعليه تضمنت المذكرة أربعة فصول، خصصنا الفصل الأول لـ "علاقات الجزائر بالخارج" والمقسم إلى أربعة مباحث أوله البحث عن أهمية البحر المتوسط في رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة وبروز صراع دولي قائم بين الجزائر كقوة بحرية متحكمة في الحوض الغربي للمتوسط وردود أفعال القوى الأوروبية في حماية مصالحها التجارية على مستوى البحر المتوسط.

ثم تناولنا في مباحث أخرى مظاهر قوة البحرية الجزائرية والعوامل المساهمة في تنامي قوة الأسطول الجزائري وهيمنة إيالة الجزائر على الملاحة الدولية في الحوض الغربي للبحر المتوسط بتزايد نشاط القرصنة وإنعاش النشاط الاقتصادي في مجاله

التجاري، ونقطة أخرى تناولنا نشاط الجهاد البحري وعلاقته بترزید عدد الأسرى حاولنا من خلال إبراز نشاط البحرية الجزائرية وتأثيرها على زيادة الغنائم البحرية (الأسرى) ثم إبراز مكانة الجزائر الدولية بحكم طبيعة علاقاتها مع الدول الأوروبية وسعى هذه الأخيرة بخلق جو سياسي سيسوده التقارب بينها وبين إيالة الجزائر وفق مجموعة من المعاهدات لشراء السلم بهدف تعزيز قدراتها العسكرية و المحافظة على مصالحها التجارية.

و جاء الفصل الثاني يحمل عنوان " التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في إيالة الجزائر" في إطار العلاقات الدبلوماسية التي تجمع الإيالة بالدول الأوروبية عن طريق ممثليها بنشأة القنصليات و مزاولة النشاط الدبلوماسي انطلاقا من قنصلية دوفيفاس Devias سنة 1597 واستمرار المراسلات الدبلوماسية بشكل عادي سمح بتتابع نشاط هؤلاء القنصلين إلى غاية 1827 أي إلى قطع العلاقات بعد حادثة المروحة.

قسمنا الفصل إلى المباحث التالية: الأول تناولنا فيه الأوساط المتحكمة في تعيين القنصل من زوايا مختلفة التجارية الدينية والسياسية، وإن كان التركيز على الأوساط الفرنسية والإنجليزية وفي نقطة أخرى تطرقنا إلى دور نشاط القنصلين في إيالة الجزائر حاولنا من خلال تشخيص المهام المنوطة بهؤلاء القنصلين ودورهم في فدية الأسرى المسحيين، وما يجب أن يقوموا به من أجل التخفيف عن مواطنهم من وطأة الأسر وافتدائهم وطرق الافتداء كتبادل الأسرى أو عن طريق التنظيمات الدينية.

أما المبحث الرابع فيتعلق بقنصلية القرن الثامن عشر ولا سيما تحسن ظروفهم ووضعيتهم في الجزائر وخاصة في فترة الدياي محمد بن عثمان باشا وإلحاق القنصليات بوزارة الشؤون الخارجية 14 فيفري 1793 م بعدها كانت من اختصاص كتابة الدولة للبحرية جوبلية 1766 م والاعتماد على الشخصيات ذات الكفاءة العالية والعارفة بالعلاقات الدبلوماسية.

وجاء في الفصل الثالث " التعاملات والبروتوكولات الفنصلية " الذي حاولنا فيه التعرف على تلك المراسيم الدبلوماسية في إطار الأعراف الدولية المتعامل بها قبل أن يتم تقيينها في إطار قانون دولي " دبلوماسي ".

قسمنا الفصل إلى المباحث التالية: الأول تناولنا فيه تلك المراسيم "الإتيكيت" من خلال تحيات المجاملة، الاستقبال وتبادل الزيارات بين عناصر السلك الدبلوماسي، وبعض من المراسيم اعتبرها القنائل إهانة ومساسا بكرامة موظفي السلك الدبلوماسي "كتقبيل اليد" إلى أن نختفي هذه الظاهرة خلال القرن 19 م.

و يدور البحث الثاني حول أهم مبادئ الدبلوماسية ألا وهي الحصانة والأسبقية، حصانة متنوعة خاصة بالأفراد والمقرات والإعفاءات الجمركية، أما الأسبقية حاولنا أن نستشف ذلك التناقض الفنصلبي و الحرب الخفية لا سيما بين فرنسا وإنجلترا ومحاولة الاستفراد بالأولوية لدى الإيالة للحصول على الامتيازات خاصة التجارية.

و نطرقنا في البحث الثالث إلى " الهدايا الفنصلية" التي يقدمها القنائل إلى الإيالة في مختلف المناسبات أو تلك التي يقدمها الدايات إلى ملوك أوروبا في إطار تعزيز أواصر الصداقة. وحرص القنائل الأجانب على الإكثار من هذه الهدايا والتقرب من العناصر النافذة في الإيالة لاستقاء الأخبار التي تتعلق بشؤونها في تحقيق مصالحهم.

أما البحث الرابع يحمل عنوان " الإقامات الفنصلية" من حيث الوصف الخارجي والدور الذي لعبته هذه الإقامات في المدينة أو الريف في الالقاء بين القنائل وإحياء الغفلات وتبادل الزيارات.

وورد الفصل الرابع تحت عنوان " مسألة الأسرى في إيالة الجزائر" التي كانت تشكل عاماً أساسياً في تحديد العلاقات الدولية وتحريكها لا سيما خلال القرن 18 م، تضمن الفصل ثلاثة مباحث، يتعلق الأول " بالسجون في الجزائر" من حيث الوصف الدقيق حسب شهادة الأسرى بموجب مذكراتهم، أما البحث الثاني فيتعلق " بأوضاع الأسرى في الجزائر" من حيث الأعمال التي تختلف من أسير إلى آخر حسب التصنيف الاجتماعي والمهني.

وجاء المبحث الثالث " تحرير وافتداء الأسرى" حيث كان الأسرى يمثلون بضاعة بشرية أو صفة تجارية في تحقيق الثروة المالية كعائدات أو مداخيل للإيالة بالوقوف على " إجراءات الفداء" التي تسبق مهمة الافتداء أو التحرير تقوم بها الجهة المكلفة بعملية الفداء منه جمع للأموال إلى غاية الوصول إلى الجزائر ل مباشرة خوض التفاوض ثم طرق افتداء للأسرى وذلك بدور التنظيمات الدينية المسيحية ودور القنائل وعملية تبادل الأسرى.

إن إنجاز أي بحث لا يخلو من العراقيل والعقبات، أولها طبيعة المصادر المتعلقة بموضوع دبلوماسي مع دول عديدة يجعل المادة التاريخية موزعة عبر دور الأرشيف في الكثير من الدول مما اضطرنا إلى البحث عنها عبر التواصل مع زملاء خارج الوطن لكن بكم قليل بالإضافة إلى عائق اللغة و عدم التحكم في العديد منها، إلى جانب العديد من الرسائل المشفرة التي تحتاج إلى تخصص لفهمها وقراءة أسرارها.

رغم هذه الصعوبات والمشاكل إلا أننا حاولنا بذل ما في وسعنا لإنجاز هذه المذكرة بتخطي العقبات ومحاولة الإلمام بالموضوع من مختلف الجوانب. والله الموفق.

# الفصل الأول

علاقات الجزائر مع الخارج

المبحث الأول: أهمية البحر المتوسط والصراع الدولي

البحث الثاني: مظاهر قوة البحرية الجزائرية

المبحث الثالث: الجهاد البحري وتزايد عدد الأسرى

المبحث الرابع: مكانة الجزائر الدولية

## الفصل الثاني: التمثيل дипломاسي و القنصلي في إيالة الجزائر

شكلت الدبلوماسية الأداة الأساسية للقوى الأوروبية في سياستها الخارجية منذ القرن 16 م لتحقيق التوسيع التجاري و امتداد النفوذ في منطقة البحر المتوسط، غير أن ارتباط الجزائر بدول شمال المتوسط وجدت قبل أن تكون الجزائر ولاية عثمانية<sup>1</sup> أي منذ القرن 14 م عندما أبرمت مرسيليا معاهرة تجارية مع الملك بجاية "خالد بن زكرياء"<sup>2</sup> نتجت عن مراسلة مرسيليا و قنصلها في بجاية "جوردان" و نجدها اقدم بالنسبة للعلاقات مع المدن الإيطالية خلال القرن 11 م منذ عهد "ناصر الحمادي" و البابا قريقواز.<sup>2</sup>

تسابقت الدول الأوروبية على ربط علاقات متعددة مع الجزائر ، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هل كان للجزائر إيالة عثمانية عبر المراحل المختلفة آلة دبلوماسية كرست ما جاء في المعاهدات من تمثيل دبلوماسي؟ و لماذا بقي التمثيل من طرف واحد فقط؟

### تعريف الدبلوماسية:

ترمز الدبلوماسية إلى فن الحوار و التفاوض في التواصل إلى أكبر قدر من المكاسب الاستراتيجية على حساب الخصم، و كثيرا ما يستشهد في العربية « بشعرة معاوية » كوصف للدبلوماسية، حيث وصفها معاوية بن أبي سفيان علاقته بالناس و كأنه بينه و بينهم شعرة إن هم أرخوا شدها معاوية من جانبه و ان هم شدوا أرخاها معاوية.

و هي في الأصل كلمة يونانية مأخوذة من الكلمة diploma تعني الوثيقة المطوية التي تعطي حاملها امتيازات خاصة، تطور مفهومها خلال القرون الوسطى diplomatic و مع القرن 18 م استعملت في اللغة الفرنسية للدلالة على دراسة الوثائق ترتيبها و حفظها<sup>3</sup> و مع القرن 18 م استعملت في اللغة الفرنسية الذي يهتم بالدبلوماسيات و العقود<sup>4</sup>. les chartes

<sup>1</sup> بلقاسم(نابت مولود قاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهويتها العالمية، ج 1 ، 6 دار البعثة للطباعة والنشر : قسنطينة، 1985 ، ص:8

<sup>2</sup> بلقاسم(نابت مولود قاسم، نم ، ص : 87

<sup>3</sup> التازري عبد الهادي، التاريخ дипломаси للغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الأول المحمدية: مطبع خصالة 1986 ، ص:37

<sup>4</sup> التازري عبد الهادي م السابق 37

و مع القرن 19م أخذت الكلمة *diplomacy* معناها المتعارف عليه خاصة بعد مؤتمر فيينا، حيث ظهرت كودار دبلوماسية، و هي في الواقع أداة تنفيذ السياسة الخارجية و تحقيق أهدافها في حماية مصالح الأمة و الرعايا في الخارج كما تعمل على توصيل المعلومات للحكومات في شكل أدوات مختلفة المعاهدات، السفارات القنصليات و التجارة.

واكتسبت العلاقة الدبلوماسية قواعد ثابتة ترسخت بمرور الزمن كما أشرنا إلى جمهورية البندقية و دورها في نشأة الدبلوماسية الحديثة بإيفاد دبلوماسيين مقيمين إلى القسطنطينية كما عمدت إلى نشر الفتن و حبك الدسائس بواسطة مبعوثيها.

فالدبلوماسية و ان كانت تعني في عمومها ما يهتم بدراسة العلاقات الخارجية و صيانة المصالح المتبادلة بين الدول و ترجع مسؤولية نجاحها إلى القائمين بهذا النشاط من مبعوثين و قناصل و سفراء.

من خلال الاطلاع على الوثائق بمختلف اللغات (الفرنسية، الانجليزية و العربية) نجد بعض المصطلحات المرتبطة بالدبلوماسية الجزائرية و الأجنبية كالقنصل ، السفاره .

و قد عرف ابن زيدون القنصل أنه: "موظف تعينه إحدى الدول في البلاد... الأجنبية و لا سيما في التغور لحماية رعايا دولته المقيمين و العابرين....".<sup>1</sup>

يرجع أصل الكلمة "قنصل" إلى اللغة اللاتينية و معناها مستشار ثم أخذت تطلق على عدد من القضاة الذين ينظرون في المنازعات في شؤون التجارة أو الملاحة ،<sup>2</sup> فظهرت تعبير مثل القاضي *Judge* ، تاجر *Marchand* ، قنصل *Consul*.<sup>3</sup>

و الأكثر شيوعا هو تعبير القنائل القضاة أو القنائل التجار في العصور الوسطى و تتمثل مهمتهم مرافقه السفن التجارية و الإشراف على شؤون البحر و التجارة و الفصل في منازعاتهم فاطلق عليهم قنائل البحر *Consul de mer*.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> قنوري عبدالالمجيد، التاريخ والدبلوماسية قضايا المصطلح والمنهج، منشورات كلية الآداب وعلوم إالرباط . 2003 ص 116

<sup>2</sup> عطا محمد صالح زهرة ، أصول العمل дипломاسي و القنصلي، دار النشر ، الرباط، ط1، 1995 ص 92

<sup>3</sup> عطامحمدصالح زهرة نمسابقعن 93

<sup>4</sup> warbledernest : Apercu sur les premiers consulats Français dans le Levant et les etatsBarbaresques.R.A 1872 PP 20

و يمكن أن تتغير هذه الالقاب بتغير الظروف السياسية كالثورة الفرنسية التي أصبحت تطلق على ممثليها "القائم بالأعمال" Chargé d'affaire – في الجزائر ابتداءً من القنصل تانفیل<sup>1</sup> بالنسبة للدول الأوروبية استعملت آنها дипломасия للتغل داخد العالم الأخرى و كان القنصل أداة لإدراك ذهنية النخبة الحاكمة بحكم الاحتکاك و التعرف على الإیالة سیاسیا عسكريا اقتصاديا و اجتماعيا و إن كنا نجد القناصل و نوابهم الأوروبيین يتتعاقبون على الجزائر فإننا لا نجد تمثيل قنصلی جزائري دائم في الدول الأوروبية في حين نجد وكلاء و ممثلي للإیالة في مناطق العالم الإسلامي، إذ نجد ممثلي للدای و مثل باي قسنطينة في تونس مهمتهم الإشراف و تسخير شؤون الجزائر سیاسیا و اقتصادیا في تونس.

---

<sup>1</sup> قان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830-1619، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 56

## المبحث الأول: جذور القنصليات الأجنبية بإيالة الجزائر

في إطار العلاقات الجزائرية-الأوروبية في المراحل السابقة لفترة العثمانية فقد عقد حكام فرنسا معايدة تجارة و ملاحة مع ملك بجاية خالد بن زكرياء بالإضافة إلى معاهدات مع المدن الإيطالية(صفلية)<sup>1</sup>، و كان أول قنصل فرنسي في مدينة بجاية هو بيار جورдан Pierre Jordon<sup>2</sup>، و تمكن سكان مرسيليا من إقامة تجارة في المشرق و شمال إفريقيا منذ القرن 12م<sup>3</sup>، و كانت الحركة التجارية نشطة مع الموانئ الفرنسية(مرسيليا ، ناربون، مونبولي).

فمنذ العصور الوسطى كان يتم تعيين القضاة القناصل أو القناصل التجار أو قناصل البحار الذين يرافقون السفن التجارية الأوروبية.<sup>4</sup>

كان هؤلاء يخضعون للتعيين من قبل سلطات بلادهم، لا سيما القناصل الأجانب و يقيمون مع رعاياهم في الفنادق. كان تعيينهم في مرسيليا من قبل أول قاضي "بودستا" في المدينة<sup>5</sup>، و كان القناصل يختارون من أهم العائلات المرسiliية الممارسة للتجارة و السمسرة مع محافظة مرسيليا على استقلالها رغم إلحاقها و تبعيتها للكونت شارل أنجو، أصبحت وظيفة القنصل صفة بيع و شراء منذ 1257م و التي تمارس عن طريق الوساطة، و قبل التوجه إلى مكان لإقامته الجديدة عليه أداء القسم على "الإنجيل".

هذه التجارة النشطة شجعت المدينة الحرة "مرسيليا" على الانفتاح التجاري بإقامة محطات تجارية، و يبدو من خلال ما يذهب إليه بلانتي Plantet ، إن تاجر البروفانسيين تحصلوا من شيوخ قسنطينة و تونس 1478<sup>6</sup> على امتيازات أوسع من صيد المرجان في طبرقة و بجاية و هو الحصول على استغلال امتداد ترابي(على امتداد 10 أميال من الساحل مقابل بعض الإتاوات و هذا ما تستند عليه فرنسا إلى غاية 1830 و في ما يعرف بحقها الإقليمي في الجزائر و الذي يعتبر النواة الأولى أو البذرة للعلاقات الجزائرية-

<sup>1</sup> primoudaineHeli,Le commerce et la navigation avant la conquétefrançaise(paris1860) p 146.

<sup>2</sup> مولود قاسم نايت هاشم،شخصية الجزائر الدولية وهويتها العالمية ج 1. ط1830، ص.8.

<sup>3</sup> Mas-laterie, Relation et commerce de l'Afrique septentrionale maghreb avec les nations chretiennes au moyen age paris p153.

<sup>4</sup> I bid

<sup>5</sup> عبد الحميد قدوري، التاريخ والدبلوماسية قضايا المصطلح والمنهج 1500،1830،الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،2003،ص98

<sup>6</sup> حسين قادری، الدبلوماسية والتفاوض، الجزائر، منشورات خير جليس، ط1، 2007، ص53

الفرنسية و تندعم هذه العلاقات باتفاقية 1482 بين أمير بجاية و تونس مع لويس الحادي عشر Louis XI، و لكن التحدث على نشأة القنصليات الأجنبية في الجزائر في فترة قيد الدراسة تجرنا إلى العلاقات الفرنسية العثمانية و انعكاساتها على الجزائر في العلاقات مع الدول الأوروبية.

<sup>1</sup> منذ 1507م و تعين قنصل فرنسا في الإسكندرية بيير بنات Pierre Benette تقدم بطلب إلى السلطات "بايزيد الثاني" (1481-1512) من أجل حرية التجار الفرنسيين في الدولة العثمانية، و بعد أصبحت مصر ولاية تابعة للسلطان العثماني في 1518 تم التأكيد على امتيازات الفرنسيين ، و جاءت معااهدة 1535م لتنوّج مسامي سفراء فرنسا بعد مفاوضات طويلة و قد نص البند الأول منها إلى توسيع الامتيازات إلى كامل الأراضي العثمانية بما فيها الجزائر.

البند: " و قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة على جلالة الخليفة الأعظم و ملك فرنسا على السلمالأكيد و الوفاق الصادق مدة حياتهما و في جميع الممالك و الولايات و الحصون و المدن و الموانئ و الثغور و البحار والجزائر و جميع الأماكن المملوكة لهم... بحيث يجوز لرعاياهما... التجول في الطرف الآخر و المجيء إليها و الإقامة بها...."<sup>2</sup>

كان التقارب الفرنسي العثماني فرصة للفرنسيين لاستغلال هذا الحق لصيد المرجان من خلال الفرمان الذي أرسله السلطان إلى أمراء الجزائر :

"تقىم الكفرة الفرنسيون بعرض حال للحصول على إجازتنا بشأن السماح لهم بصيد المرجان" سارقارز الواقعه بين الجزائر و الغرب و تونس حيث سبق للكفرة الجنوبيين أن اصطادوا المرجان هناك من ذي قبل و عليه، فقد أمرنا حال وصوله يجب السماح للكفرة الفرنسيين بصيد المرجان.... و عدم التعرض لهم في ذلك السبيل شريطة عدم إقامة أي قلعة... شريطة أدائهم ضريبة العشر على المرجان.." <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Plantet Eugence Correspondance des deys d Alger avec la cour de France 1579-1833 paris 1889 p 143

<sup>2</sup> فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية، دار النقاش بيروت، تحقيق إحسان تقى 1981 ص 224.

<sup>3</sup> مهمدقىرى، رقم 35 صحيفه 112، حكم رقم 314 بتاريخ 986 (تعريب داود التميمي).

أسس بعض التجار المرسيلين حصن فرنسا باستان Bastion كنقطة ارتكاز في 1560م من قبل التاجر لانش طوماس Thomas Linch مع كورسيكا مع التاجر المرسيلي ديدي<sup>1</sup> Didié ، حاولت فرنسا عن طريق سفرائها بالستانة حمايتها مما قد يتعرض إليه من تحرير من القبائل الشرقية كما حدث 1604م و بالأخص في 1617م للأمر الذي أدى بملك فرنسا إلى إصدار قرار ملكي سنة 1618م بمنع التجارة مع إيالات الجزائر، تونس و طرابلس.

مصالح فرنسا التجارية و تزايد أسرابها في الجزائر لا يمكن أن تحميه سفراوها بالقسطنطينية رغم الشكاوى المتكررة لدى الباب العالي فاستراتيجيتها لن تتحقق أهدافها ما لم يتم تعين من يمثلها في الجزائر و سينجح السفير بترمولدونرفوا Petromole de Narvoie في تعين قنصل مرسيلي يدعى برتوول Batholle<sup>2</sup>، الذي أخذ التعين بموجب قرار ملكي من شارل الحادي عشر Charles IX في 15 سبتمبر 1564<sup>3</sup> غير أن أو جاق الجزائر و ديوانها رفضوا وجود شخصية أوروبية تحد من استقلاليتها. يعد هذا الرفض دون ان يباشر مهامه بالجزائر.

لن تتوقف المساعي الفرنسية في الأستانة من أجل إقامة قنصلية بالجزائر ، و يشرح السفير الفرنسي بترمول Petromole في رسالته للملك في 15 جويلية 1565 ضرورة تنصيب قنصل بالجزائر على غرار الإسكندرية و سوريا ، للتعرف على نشاط البحرية الجزائرية و حماية التجارة الفرنسية ، أما في رسالته الثانية بتاريخ 27 سبتمبر 1565: "إن من الأولويات إقامة قنصل بصفة دائمة بالجزائر ليكون عينا على هؤلاء القرادنة.". <sup>4</sup>

سينجح السفير في افتتاح تعين ثان في 1578 للمرسي ليصورون Sauron بفضل جهود السفير أبي ليسيل Abbé Lisle. نستشف ذلك من خلال رسالته لملك فرنسا

<sup>1</sup>Charles-Roux ;F France et afrique du nord avant 1830 (paris : Ed Felix ;Alcan ;1918) page 62.

<sup>2</sup>Busquet Raoul. Les origines du consulat de la nation Francaisea Alger.Marseille, 1927, p06.

<sup>3</sup> Masson P. Histoire des « tablissements de commerce Français dans l'Afrique Barbaresque 1560-1793(Paris : Hachette, 1930) p 55.

<sup>4</sup>Grammont H De : »Relation entre la France et la regence d'Alger au 17 siecle » RA 1879 ? P18.

في 12 فيفري 1578 لكن لن يعتمد هو الآخر ، لكن بالاعتماد على دو فولكس Devoulix في إحصائه للفرنسيين الذين أقاموا في الجزائر اعتمد هو الآخر على وثائق موثقية القنصلية الفرنسية بالجزائر أن الشخص الذي اعتمد و يعد أول قنصل قبل اعتماده بالجزائر هو بيونو Bionneau<sup>1</sup>، غير أن هذا القنصل يتعرض للسجن بسبب خلافاته مع الديوان و استياء الملك الذي راسل الباب العالي عن طريق سفيره لانكوسme Lancosme في تقديم عريضة احتجاجات لدى السكان (أפרيل 1586) منها الاختلافات القضائية في القنصليات و تصرفات قراصنة الجزائر<sup>2</sup> المسئولة للرأمة الفرنسية.

نشأة القنصليات و مزاولة نشاطها يكتسي الغموض في المرحلة الأولى أما منذ قنصلية دو فياس Devias<sup>3</sup>، و استمرار المراسلات дипломاسية بشكل عادي سمح بتتبع نشاط هؤلاء القنصل إلى غاية 1827م أي قطع العلاقات بعد حادثة المرودة كان بطلها دوفال Duval و ليست بالحادثة дипломاسية.

يظهر أن المنافسة كانت حادة من أجل الحصول على منصب القنصل في الجزائر من خلال التعيينات غير المعتمدة لعدة أشخاص فرنسيين مثل بيير باسكال Pierre حسب مرسم جوليية 1596م و ديسمبر 1599 و كذلك القبطان جون أوليفي Pascal في مارس 1585<sup>4</sup>، أمام نجاح فرنسا في إنشاء و إقامة قنصلية في الجزائر ظهر الإنجليز على الساحة дипломاسية للمطالبة بامتيازات مماثلة و الذي منح لها في 1579م أي للشركة التركية أو كما يسميها غرامون Grammont "شركة العشرين سفينه" و تعيين وكيلها جون تبتون في 1580 و الإشراف على المحطات التجارية الإنجليزية في سواحل الجزائر.

يبدو أن إقامة القنصلية في الجزائر لم يكن بالأمر السهل مثلا هو الامر بالشرق بسبب تزايد القرصنة و قوة القرار السياسي للإيالة. كما أن تعيين أول قنصل بالجزائر تزامن مع وجود لانش Linch مؤسس الباستيون و قد تكون هناك علاقة خفية في دور

<sup>1</sup>Devoulix,A« Relevé des principaux Français qui ont résides à ALGER de 1686 à 1830 » R.A ? 1872, PP 356-387.

<sup>2</sup>Watbled,E.Apercu sur...opcit , p33

<sup>3</sup>Devoulix,A.Relevé...opcit, p357.

<sup>4</sup>Masson,P.H. des Etbls...opcit, pp 57-58.

هذا الأخير في عرقلة استقرار القنصل بالجزائر ، فهو يعتبر نفسه أهم تاجر و ممثل لصالح فرنسا بالجزائر.

أما بالنسبة لإقامة نيابة القنصلية الفرنسية<sup>\*</sup> في وهران فكانت في فترة متأخرة أي مع بداية القرن 18 م (1704)<sup>1</sup> و يعين أول نائب قنصل من قبل القنصل الفرنسي بألي كانت لأن وهران كانت تحت الاحيال الإسباني.

كان لهذه المحطة دور في العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر و الدول الأوروبية، لاسيما بعد تحرير الأول لوهران 1708م إذ تحصلت إنجلترا على امتياز التجارة و تصدير الحبوب من وهران نحو قواعدها بالحوض الغربي للمنطقة، تظهر هنا مساعي فرنسا للحصول على امتيازات مماثلة، غير أنها باعت بالفشل، و ذلك ما توضحه رسالة القنصل الفرنسي كلير مبولت Clairambout إلى حكومته في 04 جوان 1708: "رفض الداي تجارة الفرنسيين بوهران، لكن إذا اضطررت الظروف أو العواصف السفن الفرنسية على اللجوء إلى هذا الميناء فستجد الحماية الكاملة، و سأعلم بذلك قنصلنا في قرطاجنة السيد دوماس Dumas بإعلام و تحذير بقية القناصل بعد الذهاب إلى وهران..."<sup>2</sup>.

لم تتمكن فرنسا من إقامة نيابة قنصلية بوهران إلا بعد أحدى عشر سنة اي بعد مفاوضات دوسو Dussault و التوقيع على معايدة 1719<sup>3</sup>، لتكون تابعة للقنصلية العامة بالجزائر و يعود ذلك إلى دسائس و مؤامرات القنصل الانجليزي الذي أراد الاستحواذ على احتكار التجارة و تزويد حاميتها بجبل طارق.

و بموجب معايدة 1719 تم ترشيح السيد ناتوار Natoire \* لنيابة القنصلية و قد قدمه القنصل إلى الباي وهران مصطفى بوشlagm عند زيارته للجزائر بمناسبة أداء

\* كانت نيابة القنصلية بوهران تابعة و مستمد تعليماتها من القنصلية العامة بقرطاجنة باسبانيا

<sup>1</sup>Pestemaldjoglou,A : »Le consulat Français D'Oran de 1732 a 1754 « R.A 1942 P 221.

<sup>2</sup>Grammont, H.De correspondance des consuls d'Alger(1640-1742).(Alger : A, Jourdan,1890. P 119.

<sup>3</sup>جون باستوف، الجزائر وأوروبا(1500-1830) ترجمة سعد الله أبو فاسع عالم المعرفة للنشر والتوزيع(الجزائر) ط 2009 ص 413.

\*ناتوار: موظف القنصلية الفرنسية بالجزائر من 26 نوفمبر 1718 خلفور افيسير القنصلية بعد وفاته في ديسمبر 1730

الدنوش<sup>\*</sup> و مع ذلك لن تتمكن فرنسا من تنفيذ ما جاء في معاهدة 1719 إلا بفضل أحد التجار اللنقدوق Languedoc و إقامة بيت تجاري بوهران في 1723م و تسirه من قبل بيار دومينيك Pierre Dominique الذي استقبله الباي أحسن استقبال و سمح له بتصدير الحبوب من وهران و تمكنت فرنسا خلال هذه الفترة من شحن كميات كبيرة من القمح باتجاه مرسيليا، لكن نشاط هذا الناجر سيتوقف في 1730 م بسبب توافق موثق القنصلية ناتوار Natoire الذي لم يكن من نصيبيه نيابة قنصلية وهران، و انما لصالح دودو<sup>\*\*</sup> بتوصية الداي الباي بوشلاغم ، يبدو أن نيابة القنصلية الفرنسية في شرق الإيالة كانت أقدم بحكم قدم المؤسسات الفرنسية كان مقرها عنابة.

ما يلاحظ عن تعيين القناصل خلال القرن 16م هو سيطرة المرسيليين على وظيفة القناصلة في الجزائر و ايات شمل إفريقيا و ما يفسر هيمنة الوسط المرسيلي في اختيار و تعيين القناصلة الفرنسيين هو احتكار المرسيليين للتجارة الفرنسية مع الجزائر ، و ارتباط هؤلاء بمركز رأس المال الذي حركته الدواين المرسلي و على رأسها الغرفة التجارية مرسيليا<sup>•</sup>.

تتأكد هذه السيطرة من خلال إشراف الغرفة منذ إنشائها في 15 أوت 1599 م في عهد هنري Henri التي ارتبط إنشاؤها بتعيين 04 نواب، فكل القناصل الأوائل مرسيليين<sup>1</sup>، و من كان ينوب عنهم في الفترات اللاحقة أيضاً تجار مرسيليا في منح التراخيص للأشخاص الذين يرغبون في الإقامة في الجزائر و بطلب من القناصل بالاستناد إلى مراسيم الملكية التي تعطيها صلاحيات واسعة بالسماح أو الرفض بالإقامة، ما يمكن أن نستشفه كذلك أن الغرفة التجارية كان لها دور في إدارة العلاقات الجزائرية- الفرنسية بإشرافها على تعيين القناصل بموجب قرارات حكومية 03 سبتمبر 1721م و كذلك بفرض تطبيق حقوق القنصلية 01 جانفي 1722م ، و التكفل بتقديم الهدايا الدورية

<sup>\*</sup> الدنوش: هيماكيندفعمالياتثلاثةمنضرأثيلدارالسلطان، وهينو عاندو شكرى يقدمها البايات كل ثلاثة سنوات دنوش صغرى يقدمها أخلفاء البايات كل ستة أشهر في الربيعي والخريف.

<sup>\*\*</sup> دودو 1732-1727، Dedaux

<sup>•</sup> المبني للتاريخية لهذا الغرض الواقع بالشارع الفرنسي لا كوبينار بالقرب من ميناء القديم أصبح مينا احرافي 1669 وكان مركز التجارة المتوسطية مع شمالي إفريقيا والشرق.

<sup>1</sup> Devoulux,A.Relevé...opcit, p 356.

(العادية) لمسؤولي الإيالة في كل مناسبة بغرض تمتين الروابط التجارية مع الإيالة و دور القنصل (في الحفاظ على هذه المصالح).

## 2-الأوساط المتحكمة في تعين القنصل :

### أ - الأوساط التجارية :

#### الوسط الانجليزي :

تحكمت المصالح التجارية بقسط وافر في تعين القنصل من الأوساط التجارية، فإنجلترا التجارية دخلت بكل ثقلها في البحر المتوسط منذ أواخر القرن 16 م ، إذ تبنت الملكة إيليزابيث<sup>1</sup> سياسة التقارب مع الدولة العثمانية و التوقيع على معاهدة امتيازات مع السلطان مراد الثالث ،معاهدة مماثلة كتلك التي تحصلت عليها فرنسا في 1535 م هي نفس الفترة التي كثرت فيها شكاوى ملك فرنسا هنري من تعرض الباستيون إلى التخريب من طرف قبائل المنطقة عن طريق سفيره في القدسية جاك جرميني بمراسلة الملك في 25 جويلية 1579 الى السلطان مراد الثالث بـالحاجة على ضرورة التأكيد على معاهدة الامتيازات الأولى.

يبدو أن إنجلترا منذ بداية علاقاتها مع الإيالة نصبت قنصل من الوسط التجاري: إما أنهم ممثلون لشركات تجارية كبرى أو هم تجار بذاتهم، يمكنأخذ النموذج من أول قنصل وهو جون تبتون<sup>2</sup> من 1580 م كوكيل للشركة التركية المعروفة بالشركة الشرقية للمحافظة على المصالح التجارية و انتعاش العلاقات بـلقاء السلم بين البلدين.

مما يؤكد أن الملكة إيليزابيث 1 كانت لها مصالح خاصة في نشاط الشركة الشرقية خاصة في مينائي الجزائر و تونس باعتبارها محطة توقف في استراتيجية إنجلترا المتوسطية و بذلك تتضح المصالح و الاشراف عليها يوضح أمور القنصلية بـيد أشخاص عارفين بأمور التجارة.

<sup>1</sup> فريديركالمحامي، مالسابق تص 260

\* إيليزابيث 1 : 1533-1603 ابنه هنري الثامن وأنجليون شجعوا الأدب الفن التجار و التوسيع الستعماري.

<sup>2</sup> تبتون مثل إنجلترا حسن تمكّن من توسيع نفوذها ومصالحها في الموانئ المجاورة لميناء الجزائر أثناء رحلته إلى القدسية، قتل في خليج البنديقية م نقب لطقم يوناني.

تم التركيز على اختيار الممثلين الدبلوماسيين من الوسط التجاري ليكونوا أكثر حرضاً على المصالح التجارية، و تسهيل مهام التجار الانجليز إذا ما حطوا بالجزائر و ذلك ما نجده في مذكرات أحد التجار الانجليز و هو لورانس أدرسي الذي جعل من الجزائر محطة عبور في سنة 1586م.

"... أقمت عند تبتون قنصل الأمة الانجليزية الذي عاملني بكل حفاوة و ترحاب و على حسابه الخاص، كما اصطحبني إلى بلاط الملك. يقصد البايلرباي في قصر الجنينة-لأتتمكن من معرفة عادات القصر....."<sup>1</sup>

أولويات التجارة الانجليزية دفعت بالقناصل التجار الى التقرب من حكومة الإيالة و الحصول على تسهيلات للملاحة الانجليزية بإعادة تنظيم الشركة التركية لتفعيل نشاطها التجاري، مما جعل الشركة هي المسؤولة عن تعيين القناصل و دفع رواتبهم لما تفعل الفرقة التجارية مرسيليا.<sup>2</sup>

كان القنصل فريزل على شراكة مع أحد التجار الذين كانوا يحتكرون نسبة كبيرة من التجارة خاصة في تجارة افتداء الأسرى.

سعى القناصل الانجليز الى البقاء على سياسة التقارب مع الإيالة من أجل ضمان توقف سفنها و الحصول على مساعدة التموين.

### الوسط الفرنسي:

منذ القرن 16م كان تعيين القناصل الفرنسيين في المحطات المتوسطية من المرسيلين من قبل قاضي مرسيليا فيجيي.<sup>3</sup> كما كان القناصل الأوائل (خلال القرن 16م) أمثال شايس\* يبعثون بتقاريرهم الى الغرفة التجارية بمرسيليا بدلاً من بعثها الى الملك، رغم أنه تحصل على قرار التعيين من الملك هنري الثالث.

<sup>1</sup> جون باستوروف، الجزائر وأوروبا(1500-1830) ترجمة سعد الله أبو قاسم عالم المعرفة للنشر والتوزيع(الجزائر) ط 2009 ص 250 .

<sup>2</sup> جون باستوروف، نمساقص 253

<sup>3</sup> Windler, christian, la diplomatie comme experience de l'autre, consuls Français au Maghreb(1700-1840), (Geneve : Ed Droz,2002), p35.

رغم أن القوانين تمنع القنصلين الفرنسيين ممارسة التجارة إلا أن البعض منهم مارس هذا النشاط إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و كنموذج لدينا القنصل فالبيير بعده لصفقات تجارية لحسابه الخاص، و لصالح Meifrun سمسار الجمهورية فهما شريكان<sup>1</sup> و يبدو أنه خالف القوانين الفرنسية ممارسة للنشاط التجاري منذ أن كان نائب قنصل في طرابلس.

نفس الأمر يؤكده التقرير الذي كتبه المبعوث فوق العادة Herculais، أنه وجد في منزل القنصل كميات من الخشب خاصة بالقنصل<sup>2</sup> اشتراها من غنيمة إنجلزية ، و قد طلب المبعوث هركولي من القنصل الجديد التحقيق في القضية.

و في الكثير من المناسبات تولى كبار التجار بعض المناصب في القنصلية أمثال مايفرن بقرار تعينه في 21 مارس 1768 خلفا لأرميني رغم منصبه كموثق بالقنصلية. و قد كلف فيما بعد بإدارة شؤون القنصلية الفرنسي في غياب القنصل من 1777 إلى 1782م بقرار من كاتب الدولة للبحرية الفرنسية.

كان شغور القنصليات يعيق سير مصالح الرعايا الأجانب بحكم أن التسيير كان بيد التجار منذ نشأة القنصليات غياب القنصل دوفياس سير شؤون القنصلية الفرنسية التاجر إتيان ، مارتلي مقابل 500 إيکو دفعتها الغرفة التجارية لمرسيليا.

ما يقال عن فرنسا و إنجلترا ينطبق عن بقية الدول ، إذا اضطرت السويد تحت ضغط التجار منذ 1720م إلى سن قوانين جديدة و الزام الحكومة على الاتجاه نحو تأمين و تطوير التجارة البحرية، لذلك الغرض أعد البرلمان السويدي سنة 1723م مشروع معاهدة سلام و تجارة<sup>3</sup> و التي ستمكن لسفن لأسطول التجاري السويدي الحق في الإرسال و التجارة في جميع الموانئ الجزائرية و ذلك من خلال بنود المعاهدة التي ستوقع في 1729م و خاصة البند الثالث من هذه المعاهدة :

<sup>1</sup> شايس: دكتور في القانون نائب قنصل معاهد سير شؤون القنصلية بعد حيدر فياسفي 1680 .  
<sup>2</sup>

<sup>3</sup> 1- Ibid p 27

" كل السفن منها التابعة لجلالة ملك السويد أو لرعاياه و التابعة لجمهورية الجزائر و لرعاياها تستطيع الابحار بكل حرية بدون أي عرقلة...و تستطيع الابحار حيث تشاء دون أن تتعرض للتفتيش أو التعطل..و لا يجوز حجزها و لا مصادرتها بأية طريقة كانت...."<sup>1</sup>

كانت المصلحة التجارية و سلامة ملاحتها في المتوسط فوق كل اعتبار إذ يقول أول قنصل سويدي رفائيلوس في رده على انتقاد هذه المعاهدة :

"فليعلموا أن الغرض منها لم يكن المصالح التجارية أو أية مصالح أمة أخرى، و إنما كان القصد منها ضمان السلامة و الأمان لسفنا في المياه الإسبانية و البحر المتوسط حيث المسالك إلى التجارة مع الشرق...."<sup>2</sup>

نظرا لما يمكن أن يحدثه تداخل المصالح التجارية الشخصية للأشخاص من مشاكل و تأثيرها على علاقات الإيالة مع الدول الأوروبية، فقد عبرت الجزائر عن عدم ارتياحها لاختيار الدول الأوروبية قنصلتها من بين التجار، إذ كانت ترى في ذلك سببا في التوتر و عدم استقرار العلاقات بسبب تداخل المصالح الخاصة مع مصالح الدولة و قد عبرت عن إستياءها من خلال مراسلاتها дипломاسية مع الدول الأوروبية.

"إن مصالح الدولة يجب أن توكل إلى أشخاص ليست لهم علاقة بالنشاط التجاري و يجب أن يكونوا متجردين من كل الدوافع الشخصية أثناء تأدية مهامهم كموظفين و أعون للدولة..."<sup>3</sup>.

### بـ- الوسط الديني :

في ظل التطورات التي عرفها القرن 17م و تزايد عدد لأسرى أصبحت القنصليات بيد الوسط الديني، بمساعي رجل الدين سان فانسون<sup>\*</sup> الذي أسس جمعية(تنظيم) الرحمة مع شراء استغلال القنصليات الفرنسية في الشرق، حيث تداول على القنصلية

<sup>1</sup> جمالقان،نصوصوصواثائققىتارىخالجزائرالحاديـ، 1500-1830 ، دار هومـة، 2007، الجزائـر 216

<sup>2</sup> يلقـاسـمـ (مولـدـقـاسـمنـاـيـتـ)،ـشـخـصـيـةـالـجـازـرـالـوـلـيـتوـهـيـبـتـهـالـعـالـمـيـةـ،ـجـاـلـأـلـطـبـعـةـ 1985ـ،ـدارـالـبـعـثـلـطـبـاعـتـوـالـشـرـ،ـقـسـنـطـيـنـيـنـ8

<sup>3</sup> جمالقان،ـمعـاهـدـاتـالـجـازـرـمـعـرـفـنـساـ1619ـ1830ـ،ـالمـؤـسـسـةـالـوطـنـيـةـلـلـكـتابـ،ـطبـعـةـ 1987ـ،ـصـ255ـ.

<sup>\*</sup> سانفانسون: رجلدين،كاردينالو هو نفسه تعرض للأسر و خاصة قرائنه تونس من 1605 مالي 1606

الفرنسية من الوسط الديني "بارود" الذي لم يستمر في منصبه بسبب تراكم الديون التي قدرت ب 6000 قرش، و تعويضه بدير ديو في عهده فقدت مرسيليا إشرافها على قنصليات الشرق و شمال إفريقيا<sup>1</sup> ، حيث سلك سياسة معادية إتجاه إإيالة الجزائر من خلال مراساته التحريرية لدولته بدلا من تدعيمه للسلم بارسال بعض القطع البحرية لتخويف الإيالة بدليل أن الداي لا يحب فرنسا، لأن قراصنة فرنسا كل من بول، و بوفور استولوا على سفينتين جزائريتين.

أما الفصل الثالث فهو لوفاشي إلى أن رست الوظيفة على من يدفع أكثر و هو بيوول بسعر 15000 ليرة تورية.

أثبت الوسط الديني كفاعته الدبلوماسية، و تقبلهم في الوسط المغاربي لا سيما  
الجزائر إما احتراما لرجل الدين و تلك التبرعات التي يجمعونها سنويا و نشاطهم في افتداء  
الأسرى بالدرجة الأولى، و تخليص المسيحيين لكن هذا لا يعني إهمال شؤون التجارة، إذا  
يظهر التعاون بين المؤسسات الدينية و الأوساط التجارية الم ارسيلية في تسخير شؤون  
فرنسا التجارية في المؤسسات الفرنسية فقد تم توكيلهم على أموالهم.

ما يلاحظ هو أن سياسة القنصليات الفرنسية وأولويتها تختلف حسب طبيعة وسط انتماء القناصل، فقد أولى القنصل من طبقة رجال الدين اهتماماً أكبر بمسألة الأسرى وجعلوها أولى اهتماماتهم في إطار الأعمال الخيرية على حساب المصالح التجارية و هذا ما دفع بكوليير إلى تخفيف نفقاتهم (الاعتمادات المحلية).<sup>2</sup>

استحوذ رجال الدين على وظيفة القنصلية جعلهم يتحكمون في تعيين رؤساء الشؤون الدينية في إدارات شمال إفريقيا والاشراف على عمليات الافتاء وإشرافهم على تسيير الكنائس.

واجهت القناصل اللازاريين(رجال الدين) مشاكل عديدة في تسخير شؤون الفنصلات فقد عانوا من شكاوى التجار الفرنسيين بهذه الموانئ إلى الغرفة التجارية

<sup>1</sup> جونولف، الجزائر وأوروبا، 1500-1830 ن م السابق، ص 253

<sup>2</sup> عبدالمجيد قدوري، المغرب وأوروبا..م السابق ص 292.

المارسية، مما خلق استحالة التعاون بين المرسيلين واللازريين خاصة أنهم لم يلتزموا بتعليمات الغرفة التجارية ولا توجيهات كولبيير.

كما ضعف تأثيرهم على السياسة الخارجية بعد وفاة الكاردينال سان فانسون، و اختيار الحكومة الفرنسية قناصل من غير الوسط الديني، و ذلك ما نستشفه من مراسلات عديدة<sup>1</sup> ، بضرورة إيجاد قناصل ذو اهتمامات تجارية.

و تميزت سياسة ليون و كوبليير بالخلص من تأثير الكنيسة الكاثوليكية على سياسة فرنسا الخارجية و انتزاع حق استغلال القنصلية من الوسط الديني لصالح الوسط التجاري من جديد، فحاول كوبليير العمل على تأسيس شركات فرنسية لضمان نصيتها و حصتها من الملاحة و التجارة الدولية.

من المشاكل التي واجهت قناصل القرن 17 مشكل المترجمين. فغالبا ما اشتكي التجار لدى الملك الفرنسي، ما جعل الملك يأخذ إجراءات لحل المشكل بإصدار مرسوم بأن : «مترجمي القنصليات يجب أن يكونوا فرنسيين و اختيارهم من قبل التجار»<sup>2</sup>.

كما أمر في نفس المرسوم لإرسال الكابوسين Capuccins بمدينة بيرا<sup>3</sup> بالقسطنطينية لتعلم اللغات الشرقية ، وهو نفس المشكل الذي واجه قناصل أواخر القرن 17 ، فقد أطد لومير Lemaire على ضرورة إلتحاق أطفال اللغات بالقنصليات كمترجمين<sup>4</sup> .

خلال فترة اللازريين (رجال الدين) تمكنت الدول المنافسة لفرنسا من التقرب من الإيالة على حساب فرنسا ، باعتبار فرنسا تبنت سياسة عدائية ضد الجزائر بسبب الانتهاكات

<sup>1</sup> Capot Rey, La politique Francaise et le Maghreb Méditerraneeen, (1643-1685) Alger. P 42  
رسالة كوبليير إلى بوفور في مارس 1665 : "لابد من ايجاد شخص محنك مناسب يمكّن الماليوز عليه..."  
رسالة ثانية في 01 ديسمبر 1665 : "تحتاج التجار تعلم لغاتنا إلى رجل حسن المبالاة لوجودها حالياً...."

<sup>2</sup> ACCM , Série j . Art 46 objet : Enfant Langue 1670 من خلال تقرير 17 فبراير 1670

<sup>3</sup> Gautier , Marie et Antoine . La première promotion des jeunes de langue , bulletin de l'association des anciens égèves.p123

<sup>4</sup> Grammont , H6De.Corrrespondance , CS.LI ?1992,PP 7-8 : ..opcit , p 195.

المقصود بهؤلاء الأطفال ز أطفال اللغات الشرقية ، نجد مدرسة قديمة (نفس الغرض) تأسست في البندقية 1551 تحت إسم مدرسة جيوفاني Giovanni Di Lingua وكان مرسوم 1669 النواة الأولى للمدرسة الوطنية للغات الشرقية في 30 مارس 1795 .

والتجاوزات من قبل الفر اصنة المغاربة ، طمعا في إعادة حرية التجارة للمرسيلين  
لاستعادة مكانتها وبالتالي تحطيم كبراءة الإیالة .

### المبحث الثالث: دور ومهام القنصل

بحكم التمثيل القنصلي للسلك дипломاسي في إيالة الجزائر، أصبح هؤلاء على علاقة مباشرة مع الديايات والعناصر النافذة (الموظفين الكبار)، تعاملت معهم الإيالة على قدم المساواة مهما كانت مرتبتهم (مبعوثين أو فنادق) وإن كان هناك تميز مبني على العلاقة الشخصية أو المصالح المؤقتة التي تجمع الطرفين.

حاول القنصل الأجانب التقرب من العناصر النافذة في الإيالة من خلال ربط علاقات وطيدة لا سيما مع الديايات باللجوء إلى أسلوب الهدايا لقضاء مصالحهم والإظهار النوايا الحسنة في العلاقات الثنائية، فهم يشاركون الإيالة أفرادها كدلالة على الصداقة القوية و التقرب من الشخصيات النافذة لمعرفة الشؤون الداخلية و ذلك من خلال المجاملات و الزيارات التي كانت من الوسائل الناجعة للتعرف على العناصر الفاعلة من أجل استقاء الأخبار.

يقوم القنصل بدور الوسيط بين الإيالة ورعاياهم في تحديد مواعيد المقابلات إما تلك الخاصة بشؤونهم في الإيالة كلقاء مسؤولين ومدراء المؤسسات الفرنسية أو بالنسبة للمبعوثين والمفاوضين القادمين من أوروبا، دون الاستغناء عن دورهم في الوساطة дипломاسية<sup>1</sup> و حل الخلافات بين الإيالة والدول الأوروبية، أو في المفاوضات. كما يمكن أن تؤدي إلى حدوث ما يعرف في الشؤون дипломاسية بـ "الحادث дипломاسي" L'incident diplomatique<sup>\*</sup> الشركاء.<sup>2</sup>

#### أولاً: رعاية مصالح رعاياهم و إطلاع حكوماتهم:

##### أ - رعاية مصالح رعاياهم (الأسرى والأحرار):

<sup>1</sup> جمال قنان، معاهدات...، م السابق، ص 142.

\* الحادث дипломاسي: لا يخضع الحادث дипломاسي لتعريف قانوني، قد يكون حادثاً عرضياً غير مقصود أو خرقاً كبيراً يمس البعثة дипломاسية.

<sup>2</sup> بلانتي آلان، في السياسة بين الدول، مبادئ في дипломاسية، ترجمة نور الدين خندودي، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر 2006، ص 262.

قام القناصل بدور هام في التخفيف من وطأة الأسر عن رعاياهم أو إنقاذهم من العقاب إذ استطاع القنصل الفرنسي كلريمبولت Clairmbault سنة 1706 إنقاذ بعض رجال الدين الجنوبيين من الحرق المحتموم بقرار من الداي حسين وصلته رسائل أسرى جزائريين بجنوة تتضمن معاناتهم ومحاولة إجبارهم التخلّي عن دينهم وحرمانهم من الماء<sup>1</sup> مقابل مبادرة ذات القنصل اتخاذ خطوات مع جنوة لتحسين أوضاع الأسرى الجزائريين.

تحمّل القنصلية نفقات إضافية في تزويد الرعايا المنكوبين والناجين من الغرق، بتقديم لهم ما يحتاجونه كما فعلت القنصلية الفرنسية في 06 فيفري 1709 مع طاقم القبطان لوريل Louril الثمانية عشر الناجين من الغرق على السواحل التونسية بمنحهم (18 قميصاً و 18 بطانية). بالإضافة إلى اهتمامهم بشؤون رعاياهم على بعد الحدود، لا سيما الأسرى منهم بالدعوة إلى العناية بهم حتى عند انتهاء مهامهم.

كان القناصل من السلك الديني يقدمون خدمات إنسانية لرعاياهم بالإيالة الأحرار منهم والأسرى و لا سيما أثناء فترة الوباء إذ كان لوفاشي Levacher نموذجاً لتلك الأعمال فقد جعل من مقر القنصلية مستشفى لهؤلاء المرضى المصابين بالوباء عندما عجز عن إيجاد منزل لإيجار لتقديم العلاج لهم.<sup>2</sup>

يتكلّم القناصل باستقبال البعثات والتظيمات والقيام بإجراءات طلب مقابلة الداي و إيوائهم، وعند حضورهم إلى الجزائر للافتداء، وذلك ما فعله القنصل الفرنسي دوران Durand عند مجيئ الآباء لافاي Lafaye و ماكار Mackar في سنة 1723، كما يقرضوهم بعض المال لأداء واجبهم، إذ أقرضهم ذات القنصل نفسه (دوران) مبلغ 2400 قرش.

<sup>1</sup> جون بابتست وولف، الجزائر و أوروبا (1500 - 1830)، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009، ص 421.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، و المهدى البو عبدى، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 4، 1984، ص 78.

كما يقوم القنصل بإتمام و إصدار الشهادات لنقل المحررين على متن السفينة الراسية بالميناء.<sup>1</sup>

ومن المهام المنوطة بالقنصل ونوابهم في مختلف موانئ الإيالة هي حماية مصالح رعاياهم والوقوف إلى جانبهم في حل مشاكلهم خاصة مع إدارة الجمارك، إذ ما حدث سوء تقاصم حول مسألة جوزات السفر، وكذلك الدفاع عنهم حتى في القضايا الحرجة والخطيرة فهناك قضية رجل دين "بيلوجون أنطوان Pillot"<sup>2</sup> الذي ألقى القبض عليه في 31 أكتوبر 1737 بتهمة التجسس على الإيالة ومحاولة أخذ أو رسم مخطط القلعة وهنا جاء دور تاييوت Taibout في إنقاذ حياته من الإعدام له لم ينج من الفلقة ( ضربة) بأمر من الداي ابراهيم باشا.

لم تكن العلاقة بين القنصل ورعاياهم دوما على ما يرام، إذ تظهر مشاكل وخلافات بين القنصل والتجار المقيمين في الإيالة، كخلاف القنصل الإنجليزي مارتان Martin مع التاجر ولIAM بويتال William Bowitelle الذي احتكر تجارة افتداء الأسرى التي حاول القنصل جاهدا جعلها تحت وصايتها، فقد وجه هذا التاجر العديد من التهم والوشائحة ضده لدى كاتب الشؤون البحرية.

#### بـ إطلاع حكوماتهم:

من الواجبات الأساسية للقنصل والمعواثين هي المصلحة الوطنية، فمن بين الأدوار الخفية هو دور الجواسسة وإطلاع حكوماتهم بكل ما يتعلق بأمور الإيالة (السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية) وبالتالي متابعة كل ما يحدث في الإيالة وإبلاغ حكوماتهم بأدق التفاصيل من أجل معرفة قوة وضعف الإيالة، فالنسبة لفرنسا قد أصدرت مرسوما ملكيا في 03 مارس 1781 الخاص بالقنصليات الفرنسية في المشرق و شمال إفريقيا، إذ تنص المادة الرابعة عشر:

<sup>1</sup> جون بابتيست وولف، الجزائر و أوروبا...، م السابق، ص 235.

<sup>2</sup> فريد بنور، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782 – 1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 59.

" بأن القنصل يجب عليه أن يحرر مذكرة في نهاية كل سنة حول اباد التي يعين فيها ويرسلها إلى كاتب الدولة للبحرية يوضح فيها وضعية القنصل هناك، ويبين الوسائل الكفيلة التي تجلب لتجارة فرنسا وبحريتها الفوائد، التي تزيد من نفوذها..."<sup>1</sup>.

و بذلك كان القنصل و هيئة الموظفين في القنصليات الأوروبية في الإيالة يقومون بدور مراقبة الشؤون الداخلية و علاقاتها الخارجية، كما كلفوا بإعلام حكوماتهم وإطلاعها بكل شؤون الإيالة والغرض من هذه الاستخبارات أن القوى الأوروبية تستفيد من الأوضاع التي تمر بها الإيالة كونها تخدم مصالحها.

Lemaire تعتبر الجوسسة نشطاً بديهياً في العمل дипломاسي، فالقنصل لومير عند مغادرته للجزائر يترك توصيات لخلفته بيرو Perau<sup>2</sup> بصورة التقرب من العناصر النافذة (الدai، الخزندار...)، و ذلك بغض النظر معرفة ما يجري في المجتمعات الديوان و القصر من خلال استعمال الأسرى المسيحيين الذين يعملون داخل القصر مقابل و عدم بالافتداء.

ودائماً في إطار العلاقة بين القنصل من مختلف المحطات القنصلية في المدن المتوسطية نجد الرسالة التي بعث بها لومير Lemaire وهو في راقوزا بتاريخ 14 أوت 1763<sup>3</sup>، وهي عبارة عن نصائح للقنصل فالبير إذ يبين له " خطورة المنصب المليء بالأسوأك"

لم تكن الإيالة غافلة عن المراسلات السرية للقنصل مع حكوماتهم وعن دور الجوسسة الذين يقومون به، و ذلك ما يدفعنا للقول أن هذا هو السبب في طرد القنصل بيرو Perou الذي أتهم بالتجسس لصالح إدريس المصير حدث للقس قروازال Groiselle في سنة 1762 أثناء قيامه بمهام القنصل بالنيابة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> فريد بنور، الجوايس الفرنسيون في الجزائر...، م السابق، ص 61.

<sup>2</sup> فريد بنور، الجوايس الفرنسيون في الجزائر...، م السابق، ص 64.

<sup>3</sup> Ibid., p13.

<sup>4</sup> Chaillou Lucien, textes pour servir à l'histoire d'Algérie au XVIIIe siècle- suivi de la guerre de quinze heures, Toulon, p36.

تعدى تتبع القنواصل لشؤون الإيالة في المجال السياسي والعسكري إذ يخبرون حكوماتهم حتى على الأوبئة التي تجتاح البلاد لأخذ التدابير والاحتياطات لسفنهما، وذلك حرصا على رعاياهم وتحذيرهم من عدم التردد على السواحل الجزائرية تجنباً لعدم نقل عدو الوباء نحو الموانئ الأوروبية وذلك ما جاء في رسالة "صوبرخايم" المبعثة الإسباني (في مارس 1786):

"إن هناك وباء الطاعون وننصح بأن يتتجنب التجار والبحارة الإسبان الذهاب إلى الجزائر...".<sup>1</sup>

كما قام القنواصل برفع التقارير لحكوماتهم حتى في المجال التجاري والإمكانيات الدول الأخرى، فمن خلال رسالة 31 مارس 1825 للفنصل دوفال عن حالة التجارة والملاحة للثلاثي الأول لـ 1825، يمكننا أن نستقرئ البعد في تحديد إمكانية الإيالة والدول الأخرى المنافسة لفرنسا:

قدرت واردات البلاد بـ 1.230.000 ق منها 210.000 تجارة مرسيليا ونصيب الفرنسيين 6.000 ق في حين كان نصيب الجزائريين 150.000 ق، أما صادرات الإيالة فقد ارتفعت إلى 775.000 ق، كان نصيب مرسيليا 85.000 ق، و 600.000 ق للإنجليز وحدهم.<sup>2</sup>

فمن أين لهذا القنصل جمع هذه الأرقام الدقيقة إن لم يكن له عيون خفية !!!

ما يمكن استخلاصه أن قيام هؤلاء القنواصلي بتمثل دولتهم في الخارج والصفة التمثيلية هي التي تسburg عليهم الوصف дипломاسي و على عاتقهم أعباء يجب الالتزام بها كل حسب دوره، فالمطلوب منهم هو إعداد التقارير وإرسالها بشكل دوري من خلال تتبع الأحداث (سياسياً، اقتصادياً..) في الدولة المتواجدون بها، وإبلاغ دولتهم بهذه المعلومات من خلال عيونهم في إطار المجال الاستخباراتي وهذا ما جعلنا نربط وظيفة الجواسسة بمهام القنواصلي، إذ يتلقى أعضاء السلك дипломاسي تعليمات من الجهات الوصية

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، المراسلات الجزائرية - الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780 - 1798، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 1993، ص 76.

<sup>2</sup> جون باستس وولف، الجزائر و أوروبا...، م السابق، ص 233.

بضرورة الحفاظ على العلاقات مع الإيالة لا سيما في الأوقات الحرجة كظرفية الحرب لضمان حيادها أو استمرار عملية التموين، وهذا ما نستشفه من خلال قراءة لمراسلة وزير الخارجية الفرنسي لقنصلها بالإيالة 10 جوان 1793<sup>1</sup> بضرورة التقرب من الداي والتوسط لديه بعدم التعرض للسفن الحلوانية التي تمون الموانئ الفرنسية وإن كان ذلك بتقديم الهدايا معتبرة للديوان، ومتابعة سياسة الإيالة عن كثب خاصة في علاقاتها مع القوى الأوروبية.

### ثانياً: دور القنصل في افتاء الأسرى

لقد كان للقنصل الأوروبيين دوراً كبيراً في تحريربني جلتهم من قيود وأغلال الأسر، فالواجب الأساسي للقنصل هو الافتاء المباشر للأسرى أو التدخل لدى إدارة الداي<sup>2</sup> أو حسب ما تنص عليه المعاهدات.

قد يتولى قنصل أي أمة مسألة التفاوض من أجل تحرير مواطنه مباشرة مع الرياس مثل الذي قام به القنصل الإنجليزي بتحرير 7 أسرى إنجليز بمبلغ 700 بياسترة، بالإضافة إلى مبلغ الذي دفعه دارفيو D'arvieux أثناء تواجده بالجزائر 100 بياسترة لقرصان سالا لتحرير أسير فرنسي.

كانت مسألة الأسرى الشغل الشاغل للقنصل بضرورة حماية رعاياهم ويتجلى ذلك من خلال مراسلة القنصل الفرنسي بوم Baume في 28 ديسمبر 1719 الذي وجد نفسه في مأزق بين ضرورة حماية المصالح التجارية بالدرجة الأولى أو فدية الأسرى الفرنسيين مما اضطر إلى الاقتراض من أحد اليهود بفائدة 3% شهرياً، كما افتدى نفس القنصل اثنان من أسرى الإسبان وطلب في تقريره لنواب الغرفة التجارية بمرسيليا بضرورة تعويضه بـ 125 بيستول pistoles<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> زهرة زكية، مهمة القنصل الإنجليزي بلانكلاي في الجزائر، 1805 – 1812، المجلة التاريخية المغربية، العدد: 107، 108، جوان 2002، ص 52-49.

<sup>2</sup> جون بابتست وولف، الجزائر وأوروبا...، م السابق ص 218.

<sup>3</sup> وليام سبنسر، الجزائر في عهد رايس، مص السابق، ص 186.

كان لقناصل الإنجليز دورهم في تحرير بعض الأسرى التابعين لدول أخرى غير الإنجليز مثل تحرير الشاعر الأديب فلبيو فانتي Philippo Fananté الذي أسر سنة 1813<sup>1</sup>، كما أرسلت إنجلترا السيد بريستنسكريتير الملك كمبوعوث دبلوماسي على رأس أسطول إلى الجزائر للتعاون مع قنصلهم من أجل شراء كل الإنجليز في الإيالة باستثناء الذين كانوا تحت خدمة دول أخرى، وهناك نموذج آخر عن دور القنصل البندقي Capriata الذي تفاوض مع سلطات الإيالة مباشرة في 12 أوت 1764م وتوصل إلى تحرير ثلاثون أسير بقيمة 30 ألف سوكين جزائري \* أحضرها إخوة تنظيم الثلوث المقدس (فرع إيطاليا).

أما فيما يخص تحرير الأسرى الأمريكيان فلا نجد دورا للجمعيات الدينية بل بدأت مسألة تباحث قضية الأسرى عن طريق المفاوضين و القناصل الأمريكية وذلك منذ استيلاء الإيالة على سفينتين أمريكيتين سنة 1786 فحل بالجزائر أول مفاوض أمريكي "جون لامب" Jhon Lamb بهدف إطلاق سراح الأسرى وإبرام معاهدة سلام وصداقة بين البلدين، وبعد الشروع في المفاوضات مع الدياي حول فدية الأسرى، طلب الدياي بدفع فدية ضخمة مقدارها 59.496 دولار لعشرين أسير، وبسبب عدم قدرة لامب Lamb على توفير المبلغ الكامل عاد إلى أوروبا.

نظرا لأهمية قضية الأسرى الأمريكيين ومصالحها التجارية في مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي إذ يبحر ما بين 80 و 100 سفينة أمريكية يعمل على متنها 1200 بحار<sup>2</sup>، كانت عرضة لقرصنة المغاربية ولم تكن ترتبط الولايات المتحدة الأمريكية بدول شمال إفريقيا معاهدـة الصلـح تضـمن لها مصالـحـهما.

عين الرئيس آدامز Adams الكولونيل دافيد همفريز David Hampregs مفوض للولايات المتحدة الأمريكية في البرتغال للتفاوض على معاهدة سلام بينهما وبين الإيالة تضـمن إـلاقـسـرـاحـ الأـسـرـىـ وقد اختـارـ هـمـفـريـزـ جـوزـيفـ دونـالـدـسـونـ Joseph

<sup>1</sup> سلفاتور بونو، العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي، مجلة الأصالة، العدد: 07، ص 118.

\* سوكين جزائري: أو السلطاني بمختلف أجزاءه، اختلف في قيمته ووزنه حسب الظرفية السياسية يزن 1.80 غ بقيمة 8.90 ق.

<sup>2</sup> علي تابليت، "القنصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796 – 1797، جون بارلو" مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 09، 1995، ص .47

Donaldson بالتوجه إلى مدينة الجزائر لقيادة المفاوضات، وفي شهر سبتمبر 1795م بالتوصل إلى معاهدة سلم مع الإيالة تدفع الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها 642.500 دولار كفدية لمائة أسير.

### ثالثاً: دور القنصل في حماية التجارة:

لم يقتصر عمل القنصل على رعاية مصالح الرعایا وافتداء الأسرى وإنما هناك ما هو أهم من السياسة الأوروبيّة الخارجیة وهو حماية المصالح التجاریة باستعمال كل الوسائل والأساليب.

حاولت الدول الأوروبيّة حماية مصالحها التجاریة عن طريق قنصلتها باستغلال الامتیازات التي طبعت العلاقات الجزائرية - الأوروبيّة وجعل من موانئ الإيالة مفتوحة أمام التجارة الغربيّة<sup>1</sup> و التي تجسّدت في التوقيع على العديد من المعاهدات، وقد اختلفت درجة رعاية مصالح الأمة من قنصل إلى آخر فهذا القنصل مارتان Martin الذي استطاع كسب ود العناصر النافذة في الإيالة لدرجة أن منافسة التاجر بويتال Bowtell يذكر في مذكرةاته أن مارتان Martin أصبح عضواً في ديوان الإيالة<sup>2</sup>.

كان السباق عموماً بين القنصل في حماية مصالح الأمة التجاریة بإبعاد كل من يشكل خطاً على مصالحهم، فهذا دوكاريسي Dekercy يشرح لحكومته كيف أنه نجح في إبعاد اليهود وبعض الأجانب (ذوي العلاقات مع باي قسنطينة) عن تجارة الحبوب للأجانب غير الفرنسيين<sup>3</sup> من بين اليهود الذين حظوا بثقة باي الشرق.

حققت سياسة الهدایا في الكثير من المناسبات التقارب مع العناصر النافذة في الإيالة حماية لمصالح التجارية للدول الأوروبيّة أو تسهيلاً لتجديـد المعاهدات وذلك ما نلاحظه من خلال طلب القنصل فالبيـر موافقة وزير الشؤون الخارجـية دي

<sup>1</sup> أروقي شوقيـام، دراسات ووثائق...، مـالسابق، ص 76.

<sup>2</sup> أروقي شوقيـام، التنافـس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18، 19 وموقف الجزائـر منه، حولـية المؤـزخ، العدد 4-3، 2005، ص 169.

<sup>3</sup> جمال قـان، معاهـدات الجزائـر مع فـرنسـا 1619 - 1830، المؤـسـسة الوـطنـية لـلكـتابـ، الجزائـر، 1987، ص 187.

فور قاس<sup>1</sup> Deforgues بضرورة تخصيص الهدايا للدai بمناسبة انتقاله إلى منزله الجديد على غرار ما فعله بقية الفنacial، لا سيما وأن ذلك استعداداً للتوقيع على معاهدة 1793م.

كما نسجل نجاح المبعوث الفرنسي بمساعدة القنصل في مهمته بالحصول على تسهيلات لشراء الحبوب والمواد الأخرى التي كانت فرنسا في حاجة إليها وخاصة خلال المرحلة العصيبة التي مرت بها فرنسا 1793 – 1794 في مواجهة قوى التحالف المعادية للثورة الفرنسية من جهة والمعارضة الداخلية من جهة ثانية والأكثر وطأة نقص المواد الغذائية. كما زود الفرنسيين بجوازين جزائريين لتأمين نقل هذه الحبوب إلى فرنسا.

قام القنصل الإنجليزي بلانكلاي Blanckley منذ أن وطأت أقدامه الجزائر بدور فعال في حماية المصالح التجارية الإنجليزية وتجسيد مهمته الأساسية في استرجاع الإنجليز لمكانتها في الجزائر، باحتكار الإنجليز للمجال التجاري وحلوله محل فرنسا بشرق الإيالة باستغلال فترة الفتور بين الجزائر وفرنسا بسبب امتناع هذه الأخيرة عن تقديم الهدايا الالزامية<sup>2</sup>، وتمكن نفس القنصل (بلانكلاي) من مضاعفة مبلغ الإتاوة لديوان الجزائر، فقد منحت الامتيازات للإنجليز ابتداء من 02 جانفي 1807 مقابل 50.000 قرض إسباني ما يعادل (2715000) عن كل سنة لمدة 10 سنوات<sup>3</sup>.

كان التناقض التجاري يشكل محور العلاقات дипломасия الاقتصادية، فهناك تداخل ولا يمكن فصل المصالح التجارية عن الأساليب والأدوار дипломасия الأوروبية، حيث كانت الامتيازات الأرضية لهذا التناقض و التي حرصت الدول المعنية بها الحفاظ عليها عن طريق الآلة дипломасия المتمثلة في الفنacial في الدفع المفاوضات، وكسب ود عناصر الإيالة لضمان التموين، وهذا ما يمكن استخلاصه من إحدى مراسلات القنصل دوران Durand إلى وزير البحريـة يطلب فيها المزيد من الهدايا تكون في مستوى الهدايا التي يقدمها القنصل الإنجليزي<sup>4</sup>. وبذلك حاولت إنجلترا جاهدة من خلال مساعي قنصلها إحداث شرخ بين الحكومة الفرنسية في الجزائر بالسعى الحثيث للقنصل

<sup>1</sup> جمال قنان، معاهدات...، م السابق/ ص 188.

<sup>2</sup> Devoulx A, les archives du consulat général de France à Alger, Bastide, Alger, 1985, p144.

<sup>3</sup> زهرة زكية، مهمة القنصل الإنجليزي بلانكلاي في الجزائر، 1805 – 1812، المجلة التاريخية المغربية، العدد: 107، 108، جوان 2002، ص 54.

<sup>4</sup> Ibid, p 380.

دوکارسي Dekercy من خلال مراسلته في 10 أكتوبر 1789 التي يشير فيها إلى التقرب من سلطات الإيالة بهدف الحصول على أكبر كمية ممكنة من الحبوب وإبعاد الأطراف الأخرى، هذا ما يفسر بعد الاستراتيجية الفرنسية بالوقوف في وجه المنافسة الإنجليزية.

تدخل إسبانيا مجال المنافسة متأخرة، فقد تخلت عن سياستها العدائية بمجيء فلوريد بلانكا Florida Blanca و التوقيع على معاهدة مع الإيالة لأول مرة سنة 1786 الخاصة ببحرية التجارة في سواحل الإيالة<sup>1</sup> ، وبذلك حاولت إسبانيا الاستقرار اقتصادياً بالسواحل الغربية بدلاً من حالة الحرب الدائمة التي كلفتها الخسائر المادية والبشرية. فأقامت إسبانيا بيتاً تجارياً في أرزيو دون ترخيص من الداي مما تسبب في مشاكل بين الجزائر وإسبانيا فمنع الداي بيع الحبوب للإسبان.<sup>2</sup>

تكفل القنصل الإسباني لاس إيراس Las Heras بضرورة حماية مصالح التجار الإسبان من خلال إعادة النظر في المعاهدة فقد اهتم رجال المال الإسبان بالسوق الجزائرية لوفرة الانتاج والقرب من إسبانيا وتعويض جنودها في وهران والمرسى الكبير بتجارها لتثبيت أقدامها، حيث عمل نائب القنصل كامبانا Campana الإسباني بوهران على تحقيق أهدافه وتم استقباله من طرف الداي محمد الكبير 29 فيفري 1792.

بدعمه لتلك الامتيازات الإسبانية الواسعة في الشرق بإقامة مشروع مصنع الصابون في وهران فكان ذلك تنفيذاً لسياسة فلوريدا بلانكا Florida Blanca الإفريقية<sup>3</sup> ما يمكن استخلاصه أن حماية المصالح التجارية الأوروبية خاصة (الإنجليزية والفرنسية) ارتبطت بالتوسيع التجاري عبر مختلف موانئ الإيالة واستغلال إمكانياتها سواء من قبل التجار أو المؤسسات مما جعل هذه الآفاق التوسعية تشرف عليها القنصليات في أهم المدن كعنابة ووهران وتحقيق المزيد من التوسّعات الجديدة تضاف إلى امتيازاتها بشرف الإيالة و التوسيع نحو الغرب (وهران) التي تتمتع بمكانة مميزة في الحوض البحري

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، م السابق، ص 125.

<sup>2</sup> عبد القادر فكابر، آثار الاحتلال الغربي على الجزائر خلال العهد العثماني، 16-18م، دراسة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008-2000، ص 282.

<sup>3</sup> العربي الزبير، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792 - 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 231.

المتوسط و تصدير الحبوب لا سيما بعد تحريرها من الإسبان، لذلك أن الأوساط الأوروبيية لم تخفي نواياها وأبعادها الاستعمارية حيث تكشف تقرير القنصل عن رغبتهم في الإيعاز و دفع الحكومة الفرنسية إلى احتلال الجزائر.

#### رابعاً: دورهم القضائي

إن تناول موضوع القضاء القنصلي في الجزائر يرجعنا إلى معاهدة الامتيازات التي تعد القاعدة التي ارتكز عليها النظام التجاري، الاقتصادي و القضائي، فمعاهدة 1535 و المؤلفة من 16 بندًا خصصت بعضها للقضاء الخاص بالأجانب في الدولة العثمانية وإيالاتها والتي على منوالها ستنسج معاهدات الجزائر مع الدول الأوروبيية، حيث وسعت هذه المعاهدة الصلاحيات القضائية للقنصل و خاصة فرنسا إذ تتمتع قفصل فرنسا بامتياز الوصاية في حماية مصالح الرعایا الأوروبيين الذين ليس لهم قنصل يمثلونهم<sup>1</sup> مقابل استخلاص الحقوق المعروفة باسم الحقوق القنصلية إذ له الحق في الفصل في المنازعات وكيفية معالجتها. فقد وضعت هذه المعادلة أسس العلاقات بين إيالة الجزائر و الدول الأوروبيية، وبذلك تكشف لنا هذه المعاهدة سياسة الحوار والتعايش الديني للرعايا الأجانب المقيمين بالإيالة وفي نفس السياق كان القنصل يتمتعون بسلطة قضائية إذ لا يحق للقاضي (الحنفي أو المالكي) أن يفصل في النزاع إلا بحضور مترجم القنصلية. كانت المحاكم القنصلية تتتألف من الأعضاء التاليين القنصل أو نائبه في حالة غيابه، وجهاء التجار الكبار المقيمين في الإيالة إلى جانب رجال الدين.<sup>2</sup>

كما تجلى دور القنصل في حماية أملاك التجار في حالة نقض السلم وإعلان الحرب الناتجة عن التوتر في العلاقات بين الإيالة و الدول الأوروبيية وحتى في حالة وفاة أحد التجار المدرجة ضمن حق الوصاية التي يتولها القنصل والمتعلقة بشؤون الوراثة مثل ما هو منصوص عليه في المعاهدة<sup>3</sup> مع الدانمارك (على سبيل المثال) سنة 1746 في بندتها الثالث عشر و نفس الشيء بالنسبة للرعايا الفرنسيين بالاستناد إلى البند العشرين من معاهدة 24 أفريل 1784:

<sup>1</sup> المحامي فريديريك، الدولة العلية...، م سابق، ص 255.

<sup>2</sup> Devoulx.A, Les archives..., OPCIT p 20.

<sup>3</sup> جمال قنان، معاهدات...، م سابق، ص 211.

"إذا توفي فرنسي في هذه البلاد فإن متعنته تسلم للقنصل الذي يحتفظ بها على ذمة من لهم الحق فيها، نفس الإجراء يرتكب بالنسبة لأتراء مملكة الجزائر المتوفين في فرنسا...".<sup>1</sup>

وتتضح المسألة بتفسير أكثر من خلال البند الثالث من معاهدة الجزائر و البن دقية 23 جوان 1976:

"إذا توفي تاجر أو شخص تابع لجمهورية البن دقية بالجزائر أو أي مكان آخر تابع للإيالة، فلا أحد من رجالات الدولة، أو أي شخص يحق له أن يستولي بأي طريقة كانت على أموال المتوفى أو أملاكه ومتاعه... وفي صورة عدم حضور رأي شخص له صفة شرعية الوراثة فإن قنصل البن دقية يضع كشاف... على أن يحتفظ بها إلى حين ظهور أحد أفراد عائلته أو أحد الورثة الشرعيين".<sup>2</sup>

وهنا تتضح مسؤولية القنصل القانونية في الإشراف على ممتلكات المتوفى وتحويلها إلى الورثة بعد عملية الجرد والإشراف على تنفيذ الوصية إن وجدت.<sup>3</sup>

كما لا يعتبر القنصل الأجانب مسؤولين عن فرار الأسرى المحسوبين على متن السفن الأوروبية الراسية في الموانئ الجزائرية إذ على سلطات الإيالة أخذ التدابير اللازمة لحراسة شواطئها ومنع فرار الأسرى لأنه بمجرد وصول الأسير إلى السفينة و الصعود على متنها لا يحق استرجاعه للحصانة التي تتمتع بها السفن وفي ذلك تتشابه مع حرمة مقر القنصلية<sup>4</sup> لكن الواقع غير ذلك لأن الأمر يقع على وطأة القنصل.

يتولى القنصل مهمة القضاة في حل الخلافات والفصل فيها (إذ له صفة رسمية في مواجهة السلطات المحلية في النزاعات التجارية ومسائل الأحوال الشخصية) كل ذلك تؤكد معاهدات السلم المبرمة بين الإيالة والدول الأوروبية، حتى بالنسبة للدول التي دخلت في علاقة مع إيالة الجزائر في فترة متأخرة كالسويد.

<sup>1</sup> جمال قنان، معاهدات...، م سابق، ص 299.

<sup>2</sup> عبد الجليل التميمي، معاهدة السلم الممضاة...، م سابق، ص ص 119-120.

<sup>3</sup> Boutin Abel, Relation commerciales et diplomatique de la France avec la Barbarie (1515-1830), (Paris : Ed A pedone, 1902, p 596).

<sup>4</sup> Boutin Abel,...opicit, p 592.

أما الإجراءات الخاصة بالمؤسسات يمكننا الإشارة إلى النزاع الفرنسي الإنجليزي حول منزل عناية تعود وقائمه إلى تاريخ 1807 حينما سحب الامتيازات من فرنسا ومنتها إلى إنجلترا (إخراج الوكيل الفرنسي)<sup>1</sup> لمدة عشر سنوات. ركز القنصل الفرنسي تانفيلي Thainville جهوده في المطالبة بمقر (منزل عناية) حسب رأيه أنه يتعلق بالشرف الوطني الفرنسي<sup>2</sup>. حتى بعد غيابه عن الجزائر في إجازة 1809 كلف نائبه بمتابعة القضية من أجل استرجاع المنزل الذي أصبح يسكنه وكيل إنجلترا اسكيديرو Escdero، حيث أحيلت المسألة على محكمة عناية التي أصدرت حكمها في مارس 1810 لصالح الوكالة الإفريقية بحكم أنها أملاك فرنسية منذ أمد بعيد وطول مدة الاستغلال باسم "شهرة حيازة التصريف"<sup>3</sup>. غير أن حكم محكمة عناية لم يدخل حيز التنفيذ ولم ينفذ الداي<sup>4</sup>.

وقد أعيد المنزل لفرنسا بعد تأزم العلاقات الجزائرية الإنجليزية 1824<sup>5</sup>، رغم محاولات القنصل الأمريكي شالر إقناع سلطات الإيالة بالعدول عند قرار التسليم للفرنسيين باعتباره المشرف على شؤون القنصلية الإنجليزية في غياب قنصلها.

من خلال ما سبق نرى أن القضاء القنصلي سوء في الفصل في المنازعات، أو حماية الأشخاص في ظل علاقتهم العامة مع سكان الإيالة، وأملاك التجار في حالة نقض السلم وتحديد المسؤولية الفردية بالأمور الجنائية، فإن دور القنصل في المجال القضائي هو إضفاء طابع الشرعية لتلك الامتيازات ذات البعد الاستعماري بالتوغل داخل الإيالة.

<sup>1</sup> جمال قنان، معاهدات...، م سابق، ص 313.

<sup>2</sup> جمال قنان، معاهدات...، م سابق، ص 334.

<sup>3</sup> جمال قنان، العلاقات...، م سابق، ص 335.

<sup>4</sup> Plantet. E, Correspondance..., T II opicit, p 548.

<sup>5</sup> جمال قنان، العلاقات...، م سابق، ص 341.

## المبحث الرابع: فنادق القرن 18 م :

بقيت الدول الأوروبية (إنجلترا ، فرنسا) في حالة سلام مع الجزائر خلال القرن 18 م كله ، لأن القوة البحرية التي كانت لدى هاتين الدولتين جعلت الجزائر من الأفضل لها المحافظة على السلام ، ولكن فقط طالما كان ذلك ضروريًا لإقناع أصحابهم الأفقياء ، إن الحرب مع الجزائر ستكون أبهظ ثمنا من الإبقاء على ما يسمى بالعلاقات السلمية ، وبتقدمة القرن 18 م استطاعت الدول الأوروبية الأخرى أيضًا أن تعقد السلام مع الجزائر ، وبذلك ضمان الحصانة من احتجاز سفنها: الأراضي المنخفضة، الدانمارك، السويد، البنديقية و هامبورغ ثم الـ.م.أ الجديدة، إن هذه المعاهدات قد ضمنت الأمان مقابل ثمن ، حيث كانت حكومة الداي قد حصلت على حوالي نفس الدخل من الإتاوات والهدايا التي يدرها الاستيلاء على السفن في البحر في شكل غنائم نقدية<sup>1</sup>.

في ظل المعاهدات الموقعة مع الدول الأوروبية ، جعل الهيئة القنصلية في إيالة الجزائر تعرف تغييرات هامة واسعة لتشمل أغلب الدول الأوروبية التي لها اتصالات تجارية في البحر المتوسط ، فإن الفنادق أصبحوا في الواقع أشباه سفراء ، بعدما كان التمثيل القنصلية مقتصرًا على فرنسا وإنجلترا وهولندا خلال القرن 17 M<sup>2</sup> .

أصبحت شؤون القنصليات سنة 1766 من اختصاص كتابة الدولة للبحرية ، فقد أعفيت الغرفة التجارية لمرسيليا من دفع أجر سفير القسطنطينية الذي يصل إلى (20.000 جنيه)، وتحسن ظروف ووضعية الفنادق في إيالة الجزائر لاسيما في فترة الداي محمد بن عثمان باشا ، ويئن فالبير نفسه من خلال رسالته في 05 أبريل 1769:

« لم يكن الفرنسيون أبدا في حالة أفضل مما هي عليه في الجزائر في ظل الحكومة القائمة ، فقنصلهم له مكانة معتبرة ورعايا يتمتعون بالأفضلية وبحارتنا محميين ... »<sup>3</sup>. في 14 فيفري 1793 وبقرار من الجمعية العامة الوطنية ، ألحقت القنصليات بوزارة الشؤون الخارجية ، غير أن الوزير لوبران Le brun أكد أن ذلك لن يؤثر في

<sup>1</sup> جون وولف ، الجزائر وأوروبا 1500-1830 ، ترجمة سعد الله أبو القاسم ، ص 413

<sup>2</sup> بوعزيز يحيى ، مع تاريخ الجزائر في المنشآت الوطنية والدولية ، د.م.ح 1999 ، الجزائر ، ص 49.

<sup>3</sup> Garrot, H, Histoire générale de l'Algérie. Alger, 1900, P599.

العلاقة بين الغرفة التجارية لمرسيليا وشئون القنصليات، وبعد تعيين القنصل جون بون سانت اندرى André.j.b.s تعرف القنصليات بداية عهد جديد في العلاقات الفرنسية مع إقليم الجزائر، وذلك بتحديد مهامه وواجباته وحل المشاكل العالقة في إقناع سلطات الإيالة بإعادة السماح للتجار الفرنسيين بتصدير الحبوب إلى فرنسا، كما يجب إعادة النظر في المعاهدات السابقة وسيكون على شاكته من سيأتي بعده أمثال ديبو اتانفيلي Thainville duval<sup>1</sup>.

يتجلی التغيير في المواقف والتدخل المباشر في مسألة السفن المحايدة التي سمحت فرنسا لنفسها بالاستيلاء عليها ويعد ذلك انتهاك وخرقاً لقانون البحار.<sup>2</sup>

فقد واجهت الجزائر السياسة الفرنسية بغلق موانئها في وجه القراءنة الذين استولوا على سفن الدول المحايدة، الأمر الذي اعتبرته فرنسا انحيازاً للإنجليز، وكانت أولى اهتماماتها العلاقات الجزائرية – الانجليزية، وكان أول قنصل ي العمل على تسييس ديون الجزائر (دوفال Duval) وجعلها ورقة ضغط على اليهوديين باكري/بوشناق ومساوياً مثمناً على الديون التي لبّا على الخزينة الفرنسية<sup>3</sup> لضمان عدم انحيازهم للإنجليز وتسخير نفوذهم وتأثيرهم لخدمة مصالحهما في الجزائر.

عرفت أوروبا منذ بداية القرن 19 تغيير في موازين القوى بعودة الدول الاوربية إلى سياسة المدفعية التي تخلت عنها منذ فترة سابقة، فكانت حملة اللورد اكسموث Exmouth في 1816 ضربة قاسية على الجزائر ، يصعب بعدها إعادة بناء قوتها من جديد إلى أن نصل إلى نقطة نهاية عهد في 1830 بالاحتلال الفرنسي للجزائر .

إذا كانت الدول الأوربية قد اختارت فنادقها وسفاراتها اتجاه الدولة العثمانية  
وأيالياتها (الجزائر) من الإكليروس، البرلمانيين، القضاة وال العسكريون (الأميرالات) والتجار  
لتمثيل دائم في المدن والموانئ الأوربية، فقد اختارت مبعوثيها من بين الكتاب والرياس  
ولاندري المعايير والمقاييس في هذا الاختيار .

<sup>1</sup> فريد بنور، المخطوطات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830 ، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008. ص.73.

<sup>2</sup> جمال قنان ، العلاقات الفرنسية - الجزائرية 1792-1830 ، منشورات متحف المجاهد،الجزائري.ص.70.

<sup>3</sup> جمال قنان ، نفس المرجع ، ص73.

وقد تكون لخبرة الرياس منهم "سنان باشا" أو "علي رئيس" أو "قائد الميناء" أو "ليمان رئيس"<sup>\*</sup> هو من كلفه الدياي عمر باشا بإعداد تقرير حول حملة اللورد اكسماوث وبعثه للسلطان العثماني<sup>1</sup> محمود الثاني وما تترتب عنها من أصرار ، وقد اختاره الدياي في سفاره إلى لندن في 1819م لما يتمتع به من صفات دبلوماسية من كياسة ولياقة ، وقد يكون اختيارهم على رأس البعثات لإتقانهم للغات الأجنبية وإدراكهم لقضايا افتداء الأسرى ، وبالتالي لا محال للاستغناء عنهم في المفاوضات مع الدول الأوروبية .

من بين الكتاب الذين اعتمد عليهم في السفارة نحو أوربا (لندن) هو "الحاج محمد خوجة" في 19 سبتمبر 1749م على متن سفينة الأميرة بقيادة القبطان السويدي كريستيان كوش Christian Coch للتفاوض بشأن الغنيمة الانجليزية (209 ماسة و 17000 قرش برتغالي)<sup>2</sup> ، كما اعتمدت الإيالة على التجار الأجانب (أهل الذمة) أمثل "سيمون أبو قية" باعتباره يمثل مصالح الدياي لدى البلاط الفرنسي وذلك ما نجده في مراسلة الدياي "حسن باشا" إلى الحكومة الفرنسية الذي يوصي به توصية خاصة :

"لن نطلب منكم سوى المعاملة الحسنة لرعايانا بالأخص بيت باكري والمدعوه سيمون أبو قية الذي سيسلمك هذه الرسالة ..."<sup>3</sup>

إن أصعب مسألة واجهت العلاقات الجزائرية – الفرنسية مع أواخر عمر الإيالة هي قضية الديون – المطالبة بتسديد الدين الذي منح في 1796م ، فقد طلب الدياي من الحكومة الفرنسية أن تسلم المبلغ لوكيله اليهودي باعتباره المفاوض باسم الدياي مع السلطات الفرنسية بشأن هذه المسألة .

قد يكون الاعتماد على أهل الذمة كوكلاء في العاصمة والموانئ الأوروبية كونهم وسطاء مقبولين لدى الدول الأوروبية على الخصوص، يبدو أن الإيالة لم تهتم بتعيين

\* ليمان رئيس : كلمة تركية تعنى رئيس الميناء، يقوم بمهمة تفتيش السفن والمراقبة والتعرف على هوية السفن، ويسلم الرسائل من القباطنة وتسلمهها إلى الدياي ، يقىن اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

<sup>1</sup> التميي عبد الجليل، قذف مدينة الجزائر سنة 1816 ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، والجزائر وتونس ولibia، 1816-1781 ، مركز الدراسات والبحوث في الولايات العربية في العهد العثماني، 1985 ، ص 56 و 63 .

<sup>2</sup> حماش خليفة، سفارة على رئيس إلى لندن 1819م نموذج للدبلوماسية في العهد العثماني من خلال وثائق جديدة ، المجلة التاريخية المغربية العدد 87، 1997 ، ص 507 و 535 .

<sup>3</sup> العربي اسماعيل، دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الديايات ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، 1974 العدد 12 ، ص 59 .

"إن سيمون أبو قية كان يحظى بثقة الدياي، أصبح عليه شرف التعيين الدبلوماسي (ممثل الدياي)"

قناصل أو سفراء يمثلونها في الدول الأوروبية بصفة دائمة ، بل كان إرسال المبعوثين لفترات محددة وفي مهام معينة ، كما لم يكن لهؤلاء المبعوثين أي تكوين خاص إلا من خلال ما اكتسبوه من تجارب في المهام التي أنيطت بهم إما كمبعوثين للسلطان العثماني أو نحو الدول الأوروبية .

### المبحث الأول: تحيات المجاملة

إن مختلف العلاقات الدبلوماسية مرتبطة بتلك التعاملات والأعراف التي نجدها مترسخة في المجتمعات الدولية عبر العصور إذ أصبح الاتصال بين الدول لا غنى عنه، كما كرس الإسلام آداب التحية وأصولها، غير أن آداب اللياقة والمجاملة تطورت أشكالها الحديثة لا سيما مع القرن السادس عشر، فأصبح لها طابعاً مستقراً في الممارسة وفي التعاملات بين الدول فأضحت نهجاً متكاملاً له قواعد وأصول يحترمها المجتمع الدولي.

كان الإيطاليون سباقين إلى الاهتمام بالآلة الدبلوماسية وتحسين استخدامها لتحقيق مصالحها<sup>1</sup>، إذ اتسعت اتصالاتهم مع الدول المجاورة وانتشار علاقاتهم التجارية في البحر المتوسط وأول جمهورية إيطالية اهتمت بالدبلوماسية هي البندقية وذلك أول ديوان للمحفوظات لجمع المعاهدات وحفظ الوثائق من 1733 إلى 1797 م.

كما تأصلت مفاهيم اللياقة و المجاملة في عهد الملك لويس الرابع عشر Louis XIV و تدعمت الدبلوماسية الفرنسية بجهود مزاران\* Mazarin و كولبير Colbert اللذان اهتما بأشكال الممارسة من حيث المظهر ولباس الفناصل و قواعد الأسبقية و الاهتمام بأداب الإتيكيت.

**الإتيكيت Etiquette:** هي كلمة فرنسية تعني البطاقة وهي تستعمل حديثاً على بطاقات الدعوة التي توزع في المناسبات في الأوساط الدبلوماسية على الأفراد بهدف التقييد بالتعليمات المدرجة عليها و ذلك أصبحت مرادفة للأداب و التصرفات التي يلتزم بها هؤلاء و عموماً هو الذوق و مراعاة شعور الآخر.

**البروتوكول Protocol:** كلمة إنجليزية تعني حسب ما جاء في قاموس أكفورد هي قواعد السلوك وأصول المجاملات أو فن السلوك المذهب المطبق في المناسبات وفي الأصل هي كلمة يونانية تعني صفحة السجل، أما في المصطلح الدارج فتعني النقلid أو القاعدة.

<sup>1</sup>- جمال برkat، الدبلوماسية ماضيها و حاضرها و مستقبلها، القاهرة القاهرة 1991، ص 41

\* مازاران جول. Mazarin 1602-1661: أصبح كاردينال، وزير حنة التنساوية إلى حين بلوغ لويس 14 سن ممارسة مكتبه، أنهى حرب الثلاثين سنة.

**المراسيم:** هي كلمة عربية تطلق على مجموعة الإجراءات الرسمية التي تفرضها طبقة العمل الدبلوماسي التي تقوم على اللياقة واللطف والذوق السليم<sup>1</sup> في العلاقات.

و باللغات الثلاث لها مدلول واحد وهي القواعد العامة.

بتطور العلاقات بين الدول، تحولت هذه القواعد العامة إلى صفة الإلزام ويجب أن يحرص المبعوث على المجاملات في السراء والضراء<sup>2</sup> وفي مختلف المناسبات وقد يترب عن إغفالها وعدم احترامها إلى حدوث أزمات حادة في العلاقات الثنائية بين الدول.

ساهمت المؤتمرات الدولية بدور متميز في تثبيت وترسيم القواعد والأسس العامة للبروتوكولات الدبلوماسية وحصاناتهم وامتيازاتهم.

هذه المراسيم وإن أخذت طابع العالمية إلا أن بعضها يحمل خصوصية الطابع المحلي، و ذلك ما نراه في إقامة الجزائر، لقد كانت كرامة هؤلاء القناصل والمبعوثين أو حتى بمجيء السفن الحربية إلى مدينة الجزائر مصاغة بمجموعة من التشريفات تقرها المعاهدات وذلك ما أقره البند الثاني من معاهدة 21 مارس 1619: "إن شخصية القنصل تحترم ويتمتع بنفس التشريفات والامتيازات والحقوق التي يتمتع بها نظرائه في موانئ السلطان...".<sup>3</sup>

و من خلال ما جاء في المعاهدات المبرمة بين إقامة الجزائر وبقية الدول التي كانت لها تمثيليات دبلوماسية في الجزائر تتجلى أنها تعاملت معها من حيث التقاليد والتشريفات بمبدأ المساواة.<sup>4</sup>.

تبأ المراسيم بوصول السفن الحربية الأجنبية ورسوها بميناء الجزائر بإطلاق إحدى وعشرين طلقة مدفعة ويقوم الأسطول أو السفينة برد التحية بعدد مماثل من الطلقات.

<sup>1</sup> عطا محمد صالح زهرة، أصول العمل الدبلوماسي والقنصل، ليبيا، 1994 ط 1، ص 181.

<sup>2</sup> حسين قادر، الدبلوماسية والتفاوض، منشورات خير جليس، الجزائر ط 1، 2007، ص 40.

<sup>3</sup> جمال قنان، معاهدات...، م السابق، ص 271.

<sup>4</sup> جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد: الجزائر، 1993 ص 53.

و يذكر الزهار أن النصارى يطلقون اثنان وعشرون طلقة بينما نحن إحدى وعشرون طلقة ويفسر ذلك أن المسلمين يتمسكون بما ورد في الحديث الشريف: "... لأننا نمتثل بقوله (صلى الله عليه وسلم): الله وتر يحب الوتر..."<sup>1</sup>.

و إذا ما نزل قائد الأسطول أو المبعوث إلى البر يتم تحفيتهم بخمس طلقات و تكرر العملية عندما يرحل نهايئا.

كما يقتضي التشريف أيضاً إطلاق عدد من الطلقات المدفعية، وذلك عند التوقيع على المعاهدات والإعلان عنها، ولكن دون أن نجد في الوثائق عدد الطلقات.

و تكريساً لمبدأ الضيافة عند بقاء السفن أو الأسطول الأجنبي في الميناء ترسل إليه سلطات الإيالة بهدية وهي عبارة عن عجول ودجاج وخبز وفواكه، لكن بعد ذلك يدفع فنصل دولته 40 دولار و 14 دولار مقابل الهدية.<sup>2</sup>

و نجد نفس الشيء في أرشيف القنصلية الفرنسية<sup>3</sup> أنه عند قدوم القطع البحرية الهولندية وإرساؤها بميناء الجزائر تمت تحفيته بإحدى وعشرون طلقة مدفعية و رد الأسطول بالمثل غير أن الاختلاف مع أغلب المصادر التي تتفق على خمس طلقات عند النزول نجد في هذه المرة تمت تحفيتهم بسبع طلقات مدفعية.

و هناك حالات خاصة يمكن فيها إطلاق عدد من الطلقات المدفعية كما فعل فالبير valliere بعد الاستئذان من سلطات الإيالة في سنة 1774 وذلك بعد وصول نباً وفاة الملك لويس xv ، وبما أن القباطنة الفرنسيين نفذ لديهم البارود، فقد استلف هؤلاء برميلاً من البارود من وكيل الخرج.

<sup>1</sup> الزهار شريف، مذكرات أحمد الزهار نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر 1974 ص 150-151.  
<sup>2</sup> شالر ولدام، مذكرات فنصل أمريكا في الجزائر، 1824-1816، تعريب وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 66.

<sup>3</sup> ACCM, série j Art 1365.

يتم استقبال المفوظين كل في قنصليته، حيث تتم المجاملات و التشريفات ما بين الرعايا المسيحيين و البعثات الدبلوماسية، مما تجدر إليه الإشارة أن على القنصل الأجانب الحضور عندما ترسو سفن جنسياتهم، وذلك حسب العرف дипломатический.

كان من مهام القنصل الحفاظ على مراسيم الاستقبالات لمبعوثي دولهم مهما كانت مكانتهم، وذلك ما نستشفه من مذكرات بايسونال *Peysonnel* الذي يشير إلى القنصل الفرنسي دوران *Durand* الذي استقبله بكل حفاوة عند تقديم أوراق الاعتماد من أجل تسهيل مهمته العملية من قبل سلطات الإيالة<sup>1</sup>.

كما تتمثل مجاملات التحية خاصة في المناسبات كتقديم التهاني أيام الأعياد (الفطر والأضحى) أو تقديم التهاني من قبل القنصل عند التنصيب للدaiy والموظفين الكبار، ف بهذه المناسبة قدم القنصل فالليير *Valliere* هدايا لكل من حسن باشا والخزناجي قدرت بـ 7233 جنيه تومنو<sup>2</sup> بمناسبة تولية المناصب الجديدة.

ومن مبادئ اللياقة أن توجه الدعوات إلى قنواص الدول للمشاركة في الاحتفالات وتقديم المجاملات للدaiy، إذ يشير شالر *Shaler* أنه لا يخصص لكل مكانته إذ يتربون وسط الحشد داخل القاعة في انتظار تقديم التحية على هذه القاعدة: "...لكي يثبت القنصل تبعهم تقضي هذه القواعد أن يقبلوا يد الباشا كل مرة يقفون أمامه..."<sup>3</sup>.

و قد ورد هذا النوع من البروتوكولات في جل الكتابات العربية حتى عند رجال الدين يشير ذلك الأب فاي *Jean de la Faye* عند ذهابه إلى مدينة الجزائر لا قيادة الأسرى حسب ما جاء:

" أنه أثناء احتفال المسلمين بعيد الفطر والذي يدوم ثلاثة أيام يتجه المسيحيون لتهنئة الدaiy بتقدم كل قنصل طائفته كل حسب دوره لتقبييل يد الدaiy..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> *Peysonnel, j. voyage dans la régence d'Alger et Tunis, Paris, 1987, p 125.*

<sup>2</sup> وولف ج، الجزائر وأوربا (1500-1830)، ترجمة سعد الله أبو لقاس، عالم المعرفة للنشر والتوزيع: الجزائر، ط 2009، ص 260.

<sup>3</sup> شالر ولIAM، مص، سابق، ص 67

<sup>4</sup> شالر ولIAM مص، سابق، ص 67

غير أن هذا التقبيل وجملة التشريفات عند المقابلة مع الحكم الإيالية كان عرفا سائدا في الدولة العثمانية و إيمالاتها مشرقا ومغاربا<sup>1</sup> لكن الدول الأوروبية اعتبرتها قمة في الإهانة، مما ترك شعورا عدم الرضا لدى المبعوثين الأجانب لا سيما مع أواخر القرن 18 م و بداية القرن التاسع عشر، ما يلاحظ هو ارتباط ذلك التذمر بضعف الدولة العثمانية، إذ لا نجد له أثر خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر و ما يدفعنا إلى التساؤل ما الذي دفعها إلى قبولها؟

كما نجد أن هذا التقليد لا ينحصر على الأجانب فقط بل حتى مع البايات و بقية الرعية، فهم يقبلون يد الداي عندما يمثّلون أمامه وذلك ما يشير إليه تقرير الشركة الملكية الإفريقية عندما امتنى وكيلها مع الباي قسنطينة و القنصل فالبير أمام Valliere الداي<sup>2</sup> كانت الفترة المسائية يتم فيها استقبال الأجانب و تحديد لقاءاتهم مع الديات، لكن هذه البروتوكولات استاء منها قناصل الدول الأوروبية و الولايات م.أ و تولد لديهم شعور بالإهانة الدائمة التي لم تقتصر على تقبيل اليد وإنما تعدّته إلى بروتوكولات أخرى كالتحية و الإناء عند المرور أمام قصر الجنينة و قصر القصبة لاحقاً، كما عليهم أن يتجردوا من سيوفهم في حضرة الداي، وعدم ركوب الخيل داخل القصبة<sup>3</sup>.

أثارت هذه القواعد و المراسيم حفيظة القنصل الأجانب الذين اعتبروها مساسا بهم و سيادة دولتهم، فجعل بعضهم يرسلون حكوماتهم بهذا الشأن، ومن رفض الالتزام بهذه التقاليد أو المراسيم كان مصيره الطرد بالرغم مما يتمتعون به من حسنة دبلوماسية ذلك ما حدث لقنصل الفرنسي ايفان Evant الذي رفض أن يقبل يد الداي و كذلك رفضه الترجمان الذي فرض عليه لأنه يعمل جاسوسا لحساب الهولنديين<sup>4</sup> طرد و عاد إلى فرنسا، وفي نفس السياق نجد القنصل الإنجليزي فريزر Fraizer الذي رفض في 1767

<sup>1</sup> Grand champ, p. « le baise main des consuls à la cour de Tunis ». RA, 1945, pp 291-292.

<sup>2</sup> ACCM, série L „Art 313 . 1765 رسالة القنصل فالبير بتاريخ 06 ماي 1817

\* تغيير مقر الديات من قصر الجنينة إلى القصبة في 1817 عهد الداي علي خوجة.

<sup>3</sup> العربي (اسماعيل)، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الو.م. 1766- 1816، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص 35.

<sup>4</sup> Plantet (Eugene), les consuls de France à Alger avant la conquête (1579 - 1830), Pris, extrait des étude, 1930, p 49.

خلع نعليه و التخلی عن سيفه و تقبیل يد الدای ، ونتیجة لهذا السلوك المتعجرف أعاده الدای إلى بلده<sup>1</sup>.

حاولت إنجلترا إعادته و تقديم أوراق اعتماد جديدة، لكن الدای رفض استقباله، وفي اليوم التالي عاد مع الأميرال الذي أحضره إلى إنجلترا تفاديا لهذه المشاكل الدبلوماسية و خشية توثر العلاقات عينت الحكومة الإنجليزية في السنة الموالية قنصل جديد زودته الحكومة بأن يسلک سلوكاً مرضياً للدای مع احترام طبائع الإيالة.

غير أنه مع مطلع القرن التاسع عشر تمكنت بعض الدول (فرنسا، إنجلترا، إسبانيا، والو.م.أ) أن يحرروا قنصلهم من هذا التقليد المهين الذي يدل على الخنوع<sup>2</sup>. ويعود ذلك إلى تراجع قوة الإيالة البحرية وتعرضها للعديد من الحملات العسكرية (الحملة الأمريكية، حملة اللورد اكسموث Exmouth 1816)، وانعقاد مؤتمر فيينا 1815 الذي تم فيه ترسیم الأعراف و البروتوكولات الدبلوماسية، بعد اتفاق الدول المشاركة بشأن القضاء على القرصنة والاسترقاء والضغط على إيلات شمال إفريقيا، ألغيت هذه العادة – تقبیل اليد على حد تعبير شالر<sup>3</sup> بالنسبة لجميع قنascles الدول.

لم تقتصر البروتوكولات التي ميزت علاقة هؤلاء المبعوثين بالديوان فقط، بل حتى فيما بينهم و يتجلی ذلك في تبادل الزيارات و كلها في نطاق المجاملات الدبلوماسية، فبعد وصول القنصل إلى مدينة الجزائر يبادر زملائه القنascles أولاً بالزيارة و الترحيب به و تهنئته بالمنصب الجديد وتنظم على شرفه مأدبة عشاء في منزل أحد القنascles، فيقول دوفال Deval "ذلك ما فعله اتجاهي كل من قنصل سردينيا والأراضي المنخفضة"<sup>4</sup> و كذلك عند وصول السيد Puys قام بزيارة كاتب الفصلية الأمريكية السيد بيفال Bevel.

<sup>1</sup> اسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الو . م. أ 1766 – 1816، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 36.

<sup>2</sup> شالر ولیام، مص سابق، ص 68.

<sup>3</sup> شالر ولیام، مص سابق، ص 68.

<sup>4</sup> Bardaux,j : « la vie d'un consul auprès de la régence d'Alger » RA, 1924, p 279.

إن التنافس والخلافات بين فرنسا وإنجلترا لم تمنع فنصليتها من القيام ببروتوكولات المجاملة وتبادل الزيارة خاصة في فترة الصراع الفرنسي الإنجليزي ما بين 1806-1809، إذ يسجل حضور الفنصل الإنجليزي حفل عشاء في منزل الفنصل تانفيلي Thainville الذي يقام سنويا في تاريخ 15 أوت إحياء لعيد الإمبراطور<sup>1</sup>.

كانوا يجتمعون في إطار مجموعة تعرف بالأمة Nation و المكونة من الفنصل و نوابه، القساوسة و المؤثرين أي ما يمثل موظفي السلك الدبلوماسي في شكل عادي أو كلما دعت إليه الضرورة.

كما يمكن إدراج رسائل أو زيارات التهاني و كذلك التعازي في إطار تعزيز روابط العلاقات بين الفنصل، وذلك بالإشارة إلى رسالة كل من فنصل سردينيافي 21 نوفمبر 1824، و رسالة شالر 20 نوفمبر 1824 و رسالة فنصل الدانمارك إلى روفال Carthensen Duval بعرض تعزيزاته بوفاة لويس الثامن عشر و مشاركة الفرنسيين خطبهم في فقدان ملكتهم<sup>2</sup>. وفي نفس السياق و من خلال رسالة 21 نوفمبر 1824 للفنصل العام لسردينيا مشاركته الفرنسيين أحزانهم بوفاة الملك لويس الثامن عشر و ذلك بنكس راية (العلم) سردينيا من الساعة التاسعة صباحا إلى السادسة مساء<sup>3</sup>.

وفي نفس الوقت تهنته باعتلاء شارل العاشر Charle X العرش، كما نجد أيضا تعزية الدياي حسين لشارل العاشر عن طريق الفنصل روفال Ruval.

<sup>1</sup> Boyer, p, la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, (Paris ;Ed Hachette, 1963), p 255.  
<sup>2</sup> وولف جون، الجزائر بأوروبا (1500-1830)، ترجمة سعد الله أبو القاسم، عالم المعرفة للنشر والتوزيع:الجزائر، ط 2009، ص 246.

<sup>3</sup> عبد المجيد نعنعى، أوروبا في بعض الأرماء الحديثة والمعاصرة، 1453 - 1848، دار النهضة العربية: بيروت، 1983، ص 324.

## المبحث الثاني: الأفضلية وال حصانة الدبلوماسية

**الأفضلية:** هي الأولوية أو الأسبقية التي يحظى بها القنصل أو السفير على غيره من نظرائه في الاستقبال والضيافة أو في إطار تأدية بروتوكولات التهنئة لدى الدولة المضيفة أو في الحفلات والمؤتمرات، وذلك ما كان ساريا في الجزائر بين القنائل الأجانب وبالأخص قنصلا فرنسا و إنجلترا.

كان التناقض على أشدّه بين القنائل لاحتلال الصداره، مما جعل المسألة تثير الصراعات بين الدول من أجل الحفاظ على مكانتها الدبلوماسية، أدى إلى طرح المشكلة في المحافل الدولية تفاديا للمواجهات وتوتر العلاقات بين الدول، فكانت وجهة نظر بعض الدول كالسويد بضرورة وضع حل لمشكل الأسبقية (الأفضلية) على أساس مبدأ المساواة في مؤتمر وستفاليا 1648<sup>1</sup>، لكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض، غير أن الدول الأوروبيه خطت خطوة هامة خلال القرن التاسع عشر للتوصل إلى اتفاق والحد من مشكل الأفضلية في مؤتمر فيينا 1815<sup>2\*</sup> فقد جعلها تعتمد على مبدأ الأقدمية حسب تاريخ تنصيب القنصليات في عواصم الدول المعتمدة فيها.

لقد حاولت فرنسا تكرис مبدأ الأفضلية لممثليها على بقية ممثلي الدول الأوروبيه لا سيما الإنجليز من خلال ترسيم المبدأ عن طريق المعاهدات المبرمة كالبند التاسع والعشرين لمعاهدة 17 سبتمبر 1789<sup>2</sup> وحتى من خلال تحية السفن بالمدافع أنه من حق فرنسا أن تحي بأكبر قدر من القدائف أي أكثر من 21 طلقة، غير أن كل المصادر والوثائق والأرشيفية تحدثت عن 21 طلقة كتحية لجميع الدول بدون استثناء وبذلك نستنتج أن الإيالة الجزائرية لم ترتب الدول ذات علاقة معها حسب الحجم و القوة و إنما تعاملت معها على أساس مبدأ المساواة، و إن حظيت فرنسا بالأفضلية.

<sup>1</sup> رسم هذا المؤتمر مفهوم التمثيل الدائم للبعثات الدبلوماسية ترسخا للسلم والاستقرار في أوروبا، لقد أنهى الحرب، الثلاثين سنة بين دول أوروبا.

<sup>2</sup> اسماعيل ياغي و عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الفتح، الرياض، و ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، ص ص ، 118، 120.

\* انعقد هذا المؤتمر ما بين سبتمبر 1814 إلى جويلية 1815 كإتمام لمعاهدة باريس ومن أبرز الشخصيات التي لعبت دور في هذا المؤتمر (مترنيخ، كاسريه، تاليران) و شمل الدول المتحالفه ضد نابليون (روم، النمسا، بروسيا، بريطانيا).

<sup>2</sup> Devoulx, A : « un incident diplomatique à Alger en 1750 ». R.A, 1872, p 82.

وتعود هذه الأفضلية المجال дипломاسي إلى مجال الامتيازات و احتكار تجارة المواد الأساسية في مينائي بجاية و عنابة<sup>1</sup>، ففي 1747 رفض باي قسنطينة "حسن خوجة" \* بيع الحبوب للعديد من السفن الإنجليزية و الهولندية والسويدية على أساس أنه لا يوجد حبوب للتصدير إلا للفرنسيين، وهذا كدليل على الأفضلية التي يتمتع بها الفرنسيون، وتتأكد هذه الأفضلية والسبق للفرنسيين في رسالة الفنصلفالبيير Valliere للغرفة التجارية بمرسيليا التي يتعهد فيها الداي للقنصل أمام باي قسنطينة بضرورة احترام مصالح فرنسا في بايلك الشرق، وجاء ذلك كنتيجة لمعاهدة السلام بين فرنسا والجزائر (17 ماي 1666) والتي جاء بندها الثاني عشر: "سيعامل التجار الفرنسيون في جميع موانئ و مرفأي مملكة الجزائر بخصوص تفريغ السلع... مثلما يعامل غيرهم من أية أمة أجنبية وأفضل..."<sup>2</sup>.

و مع أواخر القرن الثامن عشر و خلال القرن التاسع عشر أصبح التناقض حاداً بين فرنسا وإنجلترا حول الأسبقية في التهيئة في المناسبات و تقديم المجاملات للدai، فقد حظي قناصل فرنسا منذ زمن بعيد بامتياز الأسبقية في بعيد بامتياز الأسبقية في إطار الصداقة التقليدية التي تربط فرنسا بالدولة العثمانية و إياتها<sup>3</sup>، و تقاضياً للخلافات والحساسيات و النزاعات القنصلية بين القوتين حسمت الإيالة الموقف فتقرر أن يتقدم قنصل فرنسا في مقابلة خاصة للدaiات ليلة الأعياد وهذا تميزاً له عن بقية القنascals.

ففي عيد الأضحى 18 سبتمبر 1820 أرسل دوفال Duval ترجمان القنصلية إلى قصر الدai لتحديد موعد الاستقبال لتهئته كما جرت العادة باستغلال غياب القنصل الإنجليزي ماكدونال Me Donnal عن مدينة الجزائر لأخذ مكانه أي بتهئته الدai في نفس يوم العيد مع استباق بقية القنascals، لكن لفترة مؤقتة على حين عودة القنصل الإنجليزي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فايسن أو جين، تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، 1792-1837، تحقيق صالح نور، تقديم الشيخ عبد الرحمن، دار قرطبة للنشر والتوزيع: الجزائر، 2010، ص 89.

\* حسن خوجة: باي قسنطينة 1736-1754 المعروف ببوحناك.

<sup>2</sup> جمال قنان، المعاهدات الجزائر مع فرنسا، 1619 - 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، 1987، ص 241.

<sup>3</sup> وولف جون، الجزائر و أوربا ... م. سابق، ص 241.

<sup>4</sup> الزهار شريف، مذكرات أحمد الزهار نقيب أشراف الجزائر، تقديم وتحقيق أحمد توفيق المدنى، الجزائر، 1974، ص 164.

ونجد التركيز الفرنسي دائمًا على مبدأ الأفضلية والتمايز بالاستناد إلى البعد التاريخي للعلاقات الجزائرية الفرنسية وإلى الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين الطرفين من خلال البند السادس عشر من معاهدة Thain ville 1801 الموقعة دوبوا دو تانفيل، وتأكد هذه الامتيازات من خلال حكم الجزائر مع ملوك فرنسا كرسالة الداي عبدي باشا إلى الكونت دي مورياس في 21 جوان 1731 والمتضمنة ما يلي:

"إننا نؤكد ونعطي الدليل بالاستقبال الحسن الذي حظي به قنصلكم على غيره من القنصل الأوروبيين".<sup>1</sup>

### **الحسانة дипломатическая: Diplomatic Immunity**

تشكل الحسانة дипломатическая (الحسانة дипломатическая) الامتيازات أهم الركائز للعلاقات الدولية، وقبل التطرق إليها في سياقها التاريخي يجدر بنا تناول هذا المصطلح وتعریفه لغويًا وأصطلاحاً.

**لغة:** يرجع أصل الكلمة إلى الحصن وهو المكان وحسانته معناها المنع من إلحاق الضرر بالمحصن، وتحصن أي اتخذ له حصناً ورقابة، ورجل محصن أي مكرم وحين تقييد كلمة الحسانة بصفة дипломатическая تنتقل الدلالات من الإطلاق إلى التقييد.

ومن خلال قاموس روبرت Robert هي الإعفاء من عبء أو امتياز يمنح قانوناً لفئة معينة من الأشخاص، في حين يعرف القاموس السياسي الحسانة بأنها إعفاء بعض الأشخاص من ولاية القضاء في الدولة التي يعتمدون فيها، ويرى البعض الآخر إلى أنها حق المبعوث في الحماية الزائدة من جانب الدولة المستقبلة ضد أي اعتداء.

وجاء في قاموس أكسفورد Oxford بأنها من مبادئ القانون الدولي الذي يعفي بموجبه بعض الأشخاص من الخضوع لأحكام المحاكم المحلية.

**اصطلاح:** الحسانة بمفهومها العام لها جانبان:

<sup>1</sup>Plantet (Eugene), correspondance des Dey's d'Alger avec la cour de France, 1579 – 1833, T II, Paris, 1889 p 131.

**الأول:** حق يمنح لشخص المبعوث و سفارته ليحول دون ممارسة الدولة المضيفة

أي اعتداء عليها ويطلق عليه بـ "الحق السلبي" إذ يقوم على عدم ممارسة الدولة المضيفة سلطتها القضائية أو المالية على المبعوثين الدبلوماسيين.

**الثاني:** يتمثل في توقيع العقوبات المقدرة قانوناً على من ارتكب على المبعوثين

الدبلوماسيين أو على السفار "الحق الإيجابي" أي هو توفر الحماية حتى لا يتعرض من قبل الأفراد إلى سلطات الدولة المضيفة بالأذى، لقد عرفت المجتمعات منذ القدم تبادل الرسل وأقرت مبدأ الحصانة باعتبارها القاعدة الأولى لممارسة الدبلوماسية والتعامل بين الدول، كما تناول الفقه الإسلامي الدبلوماسي مفهوم الحماية للرسل و المبعوثين بتوفير الأمان لهم، كما استفاد منه وغير المسلم أن يدخل دار الإسلام و يبقى فيها آمناً على نفسه وماليه<sup>1</sup> استناداً إلى الآية الكريمة "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ" <sup>2</sup>.

وهذا ما تتمتع به الذميين كذلك في الدولة العثمانية وإيالاتهم بما فيها الجزائر بالاستقلال التام في إدارة شؤونها الداخلية و تحكيم شريعتهم و قضائهم <sup>3</sup>، و بذلك يعد نظام أهل الذمة الإطار القانوني لتواجد النصارى و اليهود في إقليم الجزائر بناءً عليه تتمتعوا بحقوق لم يعرفوها في بلاد أوروبا، حيث سهل عليهم ممارسة نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي و شعائرهم الدينية.

تشير الحصانة إلى حرمة الأشخاص كما هو مقرر فقها وقضاء في القانون الدولي، إن الممثلين الأجانب يتمتعون بحصانة دبلوماسية ولا يخضعون لولاية القضاء الإقليمي في الدولة المبعوثين لديها.

فمن خلال التعريف السابقة يمكن القول أن مفهوم الحصانة ضيق، إذ يندرج ضمن مفهوم و شكل من أشكال الامتيازات، إذ هي أشمل تضم كل أنواع الحقوق التي يتمتع بها المبعوث الدبلوماسي، بذلك لا يخضع لأي شكل من أشكال التوقيف أو السجن فتصان

<sup>1</sup> ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد (صلى الله عليه وسلم)، ج الثالث، ص 379.

<sup>2</sup> سورة التوبة الآية 6

<sup>3</sup> علي ميلاد سلوى، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983، ص 17.

حريته وكرامته ويرفع علم بلده على مقر قنصليته، والسؤال المطروح هل استفاد القناصل الأجانب في إيالة الجزائر من هذه الحصانة؟

استناداً للواقع التاريخية وعلى ما كتبه الغربيون، لعل أهم الدول المستفيدة من هذا المبدأ هي فرنسا بحكم تقاليد الصداقة القديمة مع الدولة العثمانية للسفن الفرنسية بعض الحصانة<sup>1</sup>.

كانت حرية القناصل مصانة داخل مدينة الجزائر و كذلك المناطق التابعة لها، ويتم معاقبة كل من يمسهم بسوء أو سبهم، وبذلك استفاد القناصل من هذا الوضع الامتيازي استناداً إلى المعاهدات المبرمة سواء مع الدولة العثمانية أو الإيالة الجزائر، فكان من حق هؤلاء طلب الحراسة من الإيالة لحماية المقرات، وذلك ما قام به قنصل أمريكا شالر<sup>2</sup> بالجزائر لحراسة قنصلية إنجلترا عندما غادرها قنصلها وعهد إليه برعاية مصالح الإنجليز، وتطبيقاً لذلك رفع العلم الأمريكي وشعار الو.م. أعلى مقر القنصلية. ودائماً في سياق الحماية التي يتمتع بها القناصل الأجانب في الجزائر نجدها في المذكورة التي بعث بها شالر Shaler إلى زملائه القناصل<sup>3</sup>، يشرح فيها أن المادة 15 من المعاهدة الأمريكية الجزائرية تضمن لرعايا الطرفين الحرية والحسانة الشخصية والسفر في أراضي البلدين برا وبحرا وبالتالي على الإيالة احترامها.

كما أن الحرمة التي تتمتع بها القناصل لم تمنع إيالة الجزائر بتوجيه تحذيرات وانذارات (تهديدات) للقناصل الذين يخلون بالأعراف والتقاليد البروتوكولية التي ألزمتها الإيالة، فقد تعرض القنصل الفرنسي دولان delane إلى الإهانة والإحراج في قاعة الاستقبال من طرف الداي أمام مرأى من زملائه ومرد ذلك "إلى حضوره إلى مجلس الداي بالسيف فقال له الداي أنه إذا تجرأ وأعاد نفس التصرف فلن يلوم إلا نفسه، وقد يقطع رأسه"<sup>4</sup>، يعتبر تصرف القنصل تحدي صارخ لقوانين الإيالة وهي منع الأجانب من الدخول على الداي متقلدين سيفهم، إلى جانب سجن و مصادر ممتلكات القناصل

<sup>1</sup> وولف جون، الجزائر وأوربا.... م. سابق، ص 246.

<sup>2</sup> شالر ولIAM، مص سابق، ص 31.

<sup>3</sup> شالر ولIAM، مص سابق، ص 36.

<sup>4</sup> Grammont, H- de. Correspondance ...opcit, p 194.

بخرق الإيالة لمبدأ الحصانة وذلك بعدم تعرض قنصل الدانمارك أولريش Ulrich و قنصل هولندا فريزيوني Fraisinet إلى السجن بسبب تأخر بلديهما في دفع الإتاوات السنوية<sup>1</sup>.

ورغم ما يتمتع به القناصل من امتيازات متعددة وحصانات إلا أنهم مجبون على احترام تقاليد البلد.

كما يتمتع أعضاء السلك الدبلوماسي في إيالة الجزائر بامتياز الإعفاءات الجمركية عن المواد المعدة لاستعمال البعثة، هذا ما تنص عليه المعاهدات في بنودها فعلى سبيل المثال: المادة 21 من المعاهدة مع الدانمارك 20 أكتوبر 1746: "إن المواد الضرورية لاستعمالات القنصل معفية من أي رسوم..."<sup>2</sup>، والإعفاء لا يمس القنصل وحده بل كل موظفي القنصليات من مترجمين وموثقين، وما يتعارف عليه بـ "الإعفاءات المالية أو ما يصطلاح عليه في وقتنا الحالي بـ "الحصانة المالية"<sup>3</sup>.

إن الإعفاء يقتصر فقط على المواد الموجهة لاستعمال الخاص للقنصل و عائلته وليس للمواد قصد التجارة، ونجد أن السند القانوني لهذه الحصانة و التي هي شكل من أشكال الامتيازات جملة المعاهدات المبرمة بين الإيالة و الدول الأوروبية، و حظي القناصل الفرنسيين بهذا الامتياز نظرا لكثره عدد المعاهدات المبرمة معها، وكذلك الو.م.أ عندما نجحت في التوقيع على معايدة الصلح تضمنت بندًا ينص على: "البضائع التي تنص إلى القنصل الأمريكي و إلى أسرته تكون معفية من الضرائب الجمركية"<sup>4</sup>.

و ذلك ما يجسد أن الدبلوماسية الجزائرية تعاملت مع الدول الأجنبية على قدم المساواة من خلال صياغة بنود المعاهدات المبرمة المتشابه في إطار الحصانة дипломасия.

<sup>1</sup> Bardaox, « La vie d'un consul auprès de la régence d'Alger » R.A, 1924, pp 271 – 272.

<sup>2</sup> جمال قنان، المعاهدات...، م.سابق، ص 63.

<sup>3</sup> حسن قادری، الدبلوماسية و التفاوض، منشورات خير جليس، الجزائر، 2007، ص 62.

<sup>4</sup> إبرهينو. راي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الو.م.أ، 1776 – 1816، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص 108.

حاولت الدول الأوروبية ترسيخ مبدأ الحصانة للمقررات كذلك حتى ولو كان على حساب أمن الإيالة الداخلية أو المساس بحالة الاستقرار السياسي وعلى رأس هذه الدول إنجلترا التي قام قنصلها بتطبيق ما يعرف بحق اللجوء وحماية كل من يلجأ إلى مthr القنصلية فقد رفض قنصل إنجلترا تسليم رعياها جزائريين مطاردين من طرف العدالة<sup>1</sup>، تعود هذه القضية إلى تمرد منطقة القبائل 1823 م على السلطة المركزية، وكانت القوانين السارية في الإيالة أنها تعاقب حتى أفراد القبائل المتمردة وبما أن جل خدم القنصليات الأجنبية هم من القبائل أمر الداي بإلقاء القبض عليهم<sup>2</sup>، هذا ما جعل القنصل في وضعية حرجة مع الإيالة، فهم يتمتعون بحصانة المقررات، والدai يرى أنه ليس من حق ممثلي الدول الصديقة حماية المتمردين، فقنصل فرنسا و هولندا تقadiا لمواجهة سلطات الإيالة، سهلا لخدمهم عملة القرار والالتحاق بالمناطق الجبلية في حين سلم قنصل الدانمارك والسويد خدمهم بالقوة، أما قنصل إنجلترا فاتخذ موقفاً متعنتاً ورفض تسليمهم<sup>3</sup> و تم اقتحام منزل القنصل، الأمر الذي اعتبره بقية القنصل خرق لمبدأ الحصانة.

---

<sup>1</sup> شالر ولیام، مص سابق، ص ص 194 - 201.

<sup>2</sup> Grammont, H- de, Alger sous...opcit, p 325.

<sup>3</sup> Ibid, p 385.

### المبحث الثالث: هدايا القنصل والقنصليات الأجنبية

كانت الدول الأوروبية تدفع هدايا و إلتوات لإيالة الجزائر في مناسبات متعددة تقربا وبحثا لقضاء حاجة أو مصلحة ما.

و كان في تلك الهدايا ما يحمل رموزا لها دلالات معروفة وهي تختلف في نوعيتها وطبيعتها، حيث تشكل الهدايا القاعدة الصلبة لبناء جسور العلاقات السياسية والدبلوماسية القائمة بين إيالة الجزائر و العالم الخارجي، وتكشف لنا أهمية الهدايا وبعدها وما يمكن أن تفرزه من تأثير على العلاقات الدبلوماسية من خلال المراسلات بين القنصل وحكومتهم.

أما فيما يخص الهدايا التي تقدمها الدول الأوروبية فتعرف بالهدايا القنصلية 1 *présent consulaire* إلى وكلائها في مختلف المناسبات السعيدة أو بمجيء المبعوثين للتفاوض بشأن التوقيع على المعاهدات السلم فتوزع الهدايا على الشخصيات النافذة في الدولة أي كبار الموظفين كل حسب مكانته.

اختللت طبيعة تقديم الهدايا من فترة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، إذ مع ضعف بحرية الإيالة تحولت الإلتوات التي تدفعها القوى الأوروبية إلى ما يشبه الهدايا الإلزامية والترضية البروتوكولية باختلاف المناسبات من أجل التأكيد على الروابط الثنائية بينهما أو عند تجديد معاهدات السلم من أجل حماية الملاحة والامتيازات التجارية<sup>2</sup>.

و النماذج عن الهدايا كثيرة ومتنوعة سنتقتصر على البعض منها حسب ما يقتضيه الغرض، فعند وصول دارفيو D'Arvieux إلى الجزائر كمبوعث من قبل كولبرت Colbert في وقت كانت فيه القنصلية الفرنسية شاغرة إذ تم طرد القنصل بوردييو Bourdieu<sup>3</sup> من قبل الداي بسبب فرار العديد من الأسرى المسحيين على متن السفن الفرنسية، و رأت السلطات الفرنسية هذا الإجراء تعسف في حق قنصلها في هذه

<sup>1</sup> بوشنافي محمد، الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر، 1700 – 1830، رسالة ماجister، تحت إشراف أ.د. بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2001 – 2002 ص 38.

<sup>2</sup> خوجة حمدان، المرأة، تقييم و تعریب، محمد العربي الزبیری، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 132.

<sup>3</sup> Mémoire d'Arvieux ...opcit, p 71.

الظروف جاء دارفيو Darvieux لتسوية الوضع، وبعد خمسة أيام من وصوله أرسل إلى daiy و الباشا هدايا للترضية وتمثل في شراشف هولندية من قماش البروكار والحرير، لكن على غير العادة رفض daiy بابا حسن الهدايا وتم إرجاع وإكتفيا بقبول المربى فقط للأطفال<sup>1</sup> لأنهما كان يفضلان الحصول على الهدايا نقدا على حد زعم Darvieux عرفت قيمة الهدايا الفرنسية للإيالة تطورا خلال القرن الثامن عشر ويتوضح ذلك من خلال الجدول التالي و القيمة بالليرة<sup>2</sup>.

1814	1811	1805	1791	1774	1763
113000	150000	80000	48500	16600	13200

قد يعود ارتفاع قيمة الهدايا إلى التناقض الذي بدا جليا بين القناصل و المبعوثين الأجانب في تقديم الهدايا تقربا من العناصر النافذة في الإيالة و دخول دول جديدة حبة التناقض، فالكل يقدم الأفضل والأغلى وذلك ما نستشفه من مراسلة القنصل الفرنسي دوران Durand إلى حكومته بتاريخ 22 أبريل 1730 مبررا رفض daiy للشراشف التي لم تتناسب و ذوقه مقارنة بالهدايا السويدية القيمة ( مواد حربية).

ارتبط تقديم الهدايا بالمناسبات السعيدة للدaiys أو الموظفين الكبار أو أقاربهم، كالتعيين في منصب سامي فقد حظي daiy إبراهيم في مارس 1710م بهدايا قيمة وكذلك عند تجديد المعاهدة نال كل نصيبيه من الهدايا المتمثلة في ققطان مذهب وقططانيين آخرين من قماش رفيع، كما استفاد ترجمان daiy ققطان من القماش الدمشقي أخضر اللون ، وللكتاب الأربع وقططان الميناء لكل ققطان قدرت قيمة هذه الهدايا بـ 365 بياسترة<sup>3</sup>.

\* كما اندرج تقديم الهدايا في إطار المجاملة مثلا عند ختان daiy محمد بقطاش لابنه قدمت له القنصلية الفرنسية أقمشة مذهبة في 24 ديسمبر 1708م ، وقدمت لنفس daiy هدية أخرى تتمثل في حوض فضي بمناسبة زواج ابنه بعلي شاوش الذي منحت له هو

<sup>1</sup>Mémoire d'Arvieux ...opcit, p 88.

<sup>2</sup>Plantet E, consul ...opcit, p 50.

<sup>3</sup>ACCM, série J, Art, 1388, objet : compte 1700 – 1730.

\* daiy محمد بقطاش: 1708 – 1707

الآخر زوجان من المسدسات بطلقين <sup>1</sup> pistolets à deux coups ، كما كان بايات البالييكات نصيب من الهدايا الفضلية ، فقد قدم بيكيو Becot زوجان من المسدسات لباي وهران ، وهذا يرتبط بالمساعي التي قامت بها فرنسا بعد تحرير وهران الأول من أجل إقامة محطة تجارية ونيابة فضلية .

يمكن استنتاج دور الهدايا التي أصبحت إحدى السبل التي لجأ إليها القنائل والدول لخدمة مصالحهم ولضرب منافسيهم ،

وذلك ما نستشفه من نشاط كامبانا نائب قنصل إسبانيا بوهران ، فهو صوله إلى مدينة الجزائر قدم هدايا قيمة فاقت 120.000 ريال لتسعة أشخاص من حاشية الداي <sup>2</sup> ولنا ان نتساءل ما وراء تلك الهدايا ، وفعلاً كان كامبانا يحمل في جعبته مشروع الحصول على ترخيصات لإقامة محطة تجارية إسبانية (على غرار المؤسسة الفرنسية في الشرق) ، وفعلاً نجح في الحصول على امتياز شراء القمح من باليك الغرب بأسعار جد مرضية ، وبعدها توجه إلى وهران لإرساء قواعد مصنعة (صناعة الصابون) بوهران ، حيث استقبله محمد الكبير وقدم إليه كامبانا Campna هدايا بقيمة 50.000 ريال وكذلك إلى قائد ميناء أرزيو باسم إسبانيا .

قيمة الهدايا تبين لنا حجم المنافسة إذ كان على أول قنصل إسباني لاس هيراس Las Heras 3 حماية المصالح الإسبانية أمام قوة وامتيازات فرنسا وإنجلترا في الإيالة ، وإن استغلال حبوب باليك الغرب وإقامة مصنع الصابون جاءا تنفيذاً لمعاهدة 1786م وبذلك تغيرت السياسة الإسبانية تجاه الإيالة من المواجهة والإحتلال إلى سياسة التقارب .

<sup>1</sup>ACCM, série J, Art, 1388.

<sup>2</sup>Louis caradeguila, les espagnols en Afrique, les relations politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786 à 1830, professeur M.S Perez, 1977, université de Bordeaux III, thèse doctorat 3ème siècle, p 65.

<sup>3</sup>Louis cara, ...opcit, p 35.

ساهمت الهدايا أيضا في تسهيل المفاوضات لاسيما المتعلقة بقضية الأسرى وذلك ما قام به صانصون نابليون<sup>1</sup> Sanson Napollion في مهمته لفقدان الأسرى فقد وزع على كبار الإيالة (العناصر النافذة) هدايا بقيمة 70.000 ليرة فرنسية ، وفي السياق ذاته وضع ملك السويد فريديريك Frédéric تحت تصرف مبعوثه جورج لوبي George Logie<sup>2</sup> 400 جنيه استرليني لشراء مجوهرات ثمينة ليقدمها للدaiy ولأفراد حكومته بالإضافة إلى تزويده بتوصيات بتقديم هدايا صغيرة لمن يراه مفيدا له في مهمته في حين يحتفظ بالهدايا الثمينة إلى حين نجاح المفاوضات والتوفيق على معاهدة سلام وتجارة وصداقة سنة 1729 م.

كما تلعب الهدايا دورا في تسهيل عمليات الاقتداء ، لذا نجد أن قنصل البندقية كبرياتا<sup>3</sup> Capriata قدم هدايا معتبرة لذلك الغرض وفي نفس الوقت التوقيع على معاهدة سلم .

كانت إيالة الجزائر تحدد نوع الهدايا ، إذ نجد سبع دول تقدم أتاوات كل سنة وهي كل من الو.م.أ، هولندا، البرتغال، نابولي، السويد، النرويج والدانمارك ، تقدمها في شكل مواد حربية (حبال، حديد، بارود، مجاذف) بقيمة 30.000 ليرة.

يؤدي تأخر تقديم الهدايا أو تأخر وصولها في بعض الأحيان إلى تعرض القنصل إلى المضايقات قد تصل إلى السجن والإعتقال كما حدث للقنصلين الهولندي فريزيوني Fraisinet ن والدانماركي Verich<sup>4</sup> في 1807 م.

لقد سعت بعض القوى الأوروبية إلى التخلص منها بشن حملات عسكرية ضد الجزائر كالحملة الدانماركية عام 1770 بقيادة الأميرال كاسان Kaasen لكنها باعدت

<sup>1</sup> Grammont H,D, Histoire de relation ...opcit, R.A 1879 , P134.

<sup>2</sup> منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، دار القصبة، الجزائر، 2009.

<sup>3</sup> بديرة المازري، الجزائر و السويد، تجارة عالمية و صراعات دولية، 1729 – 1830، المجلة التونسية، العدد 101، 1990، ص ص 50 - 55.

<sup>4</sup> Plantet, E. les consuls ....opcit, p 56.

بالفشل واضطرت الدانمارك إلى شراء الصلح مع الجزائر بـ 100.000 إيكو Ecus<sup>1</sup> وسفينتين محملتين بمواد حربية وهذا ما يبين قوة الإيالة في هذه الفترة .

لقد أسهبت الوثائق والكتابات عن ما كانت تدفعه الدول الأوروبية من الهدايا وتركز على أنها مفروضة متناسبة بالأعراف الدولية والدبلوماسية منذ القدم :

- مملكة الصقليتين والبرتغال وقعتا على اتفاق بنفس الشروط، إذ تدفعا للدai إتاوة سنوية 24.000 و هدايا مختلفة تساوي 20.000 ببياسترة.

- توسكانيا لا تدفع أي إتاوة وإنما هدية قنصلية بقيمة 23.000 ببياسترة .

ارتبطة الهدايا من بعض الدول بتجدد القناصل لاسيما خلال القرن الثامن عشر ، غالبا ما كانت الإيالة تطلب بتعديل القناصل للحصول على الهدايا <sup>2</sup>، وإذا لم تلتزم الدولة بذلك يتم طرد قنصلها .

كانت الدول الأوروبية ترى فيها تعسفاً لدرجة الخزي ، إذ تضطر إلى شراء التوقيع على معاهدات السلم مثلما فعلت في 1780م ، إلا أن ذلك تقليد يدخل ضمن الأعراف الدبلوماسية المتعارف عليها ، إذ نجد إرسال دايات الجزائر هدايا إلى ملوك أوروبا في العديد من المناسبات ولأغراض متعددة ، فالهبة تقليد قديم في العلاقات بين الدول والشعوب ، فمثلما كانت تتلقى الهدايا جعلها تقدم الهدايا للإيالة ، ولنا هنا أن نتساءل لماذا ترى فيها الدول الأوروبية مساساً لشرفها ولكرامتها؟.

فلهذا العرف دلالات تبين النية الصادقة في إقامة والحفظ على العلاقات الحسنة بين الطرفين ن فعند قدول القنصل الإنجليزي بلانكلاي والتحاقه بمنصبه في 1806م قدم الهدايا على الداي حسب الأعراف القديمة ، ما يعرف بهدية القدول <sup>3</sup> ، وكرد المجاملة بعث الداي على القنصل بأمة وابنها الصغير لمنزل القنصل لتقوم على خدمته وعائلته.

<sup>1</sup>Galibert, leon, Algerie ancienne et moderne, Paris, 1854, p 239.

<sup>2</sup>Boutin abel, commerce et diplomatie....pp160 – 161.

<sup>3</sup>Bardoux, la vie....opcit, pp 264 – 265.

ومما سبق نرى أن إيداله الجزائر بدورها قدمت للدول الأوروبية لأغراض متعددة، فأين هو وجه الخزي والتعسف الذي تتحدث عنه الاوساط الأوروبية، في هذا الصدد يتساءل القنصل السويدي براندل \* Brandel في تقرير لحكومته بتاريخ 31 ديسمبر 1775 م:

"كيف لفرنسا وهولندا والدانمارك والبندقية ، أن تقبل بالضرائب الباهظة التي ار هقت كاهلها، وكيف لبريطانيا أن ترك الجزائريين يسيئون لكرامتها ...."<sup>1</sup>

وفي هذا إشارة إلى قوة إنجلترا البحرية وكيف لهذه الدول أن تقبل بقرار الداي علي باشا ، والمتمثل في تغيير موظفي القنصليات (القناصل) كل سنتين بغرض الحصول علة الهدايا .

وبيزداد تدمر فرنسا من مسألة الهدايا خاصة بعد الثورة الفرنسية، إذ وجه مونج كاتب الدولة للبحرية إلى القنصل فاليلير Vallière تعليمات بأن يجب أن يصرح للدai رسميا وبلهجة جديدة :

"بأن الجمهورية لا تتبع صداقتها كما أنها لا تريد أن تشتري صداقه الجزائر بالهدايا وعليه فلا يجب أن تعود للمطالبة بها منذ الآن فصاعدا...."<sup>2</sup> .

غير أن حكومة الجمهورية تتراجع عن هذه التعليمات في مراسلة آجلا مؤرخة في 17 جانفي 1793م ، ويبدو أن هذا التخلّي والتراجع كان لفترة مؤقتة، إذ تظهر الغطّرة الفرنسية في عهد القنصل مولتدو Molledo الذي كلفته الحكومة الجديدة برفضها القاطع عن تقديم الهدايا العرفية التي كانت الأمة الفرنسية تقدمها في الماضي<sup>3</sup> .

لكن احترام إيداله الجزائر لهذا التقليد المتعارف عليه بين الأمم جعل القنصل الفرنسي في حرج إذ تلقى عند مقابلة الداي ما يعرف بهدية القنصل القدوم وهي تحرير أربعة اسرى فرنسيين دون مقابل .

<sup>1</sup> براندلBrandel: كان سكرتيرا في القنصلية السويدية بالجزائر منذ 1753 تزوج من ابنة لوجي و بقي إلى أن أصبح قنصلًا سنة 1759 بدبيرة مازاي، الجزائر و السويد....، م السابق، ص ص 49-50.

<sup>2</sup> جمال قنان، العلاقات الفرنسية – الجزائرية، 1792 – 1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، ص 46.

<sup>3</sup> جمال قنان، العلاقات الفرنسية – الجزائرية، 1792 – 1830، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، ص 46.

ف لماذا التذمر؟ فمثلاً كانت تقدم الهدايا، كانت تتلقى هدايا بنية تمنين أو اصره العلاقات.

ما لاشك فيه أن دبلوماسية الهدايا واستعمال ثقافة الآخر استجابت لحد بعيد للاستراتيجية الأوروبية بالجزائر من أجل خدمة المصالح والتقارب من العناصر النافذة في الأيالة ، وإن لم يكن نجاحها كاملاً في بعض الأحيان بسبب المنافسة بين الدول الأوروبية وبين القناعات الأوروبيتين خاصة الفرنسيين والإنجليز .

#### المبحث الرابع : إقامات القناصل

ضمنت المعاهدات المبرمة مع إيالة الجزائر لقناصل الدول الأوروبية الحق في اختيار أماكن الإقامة كابندة العشرين من معاهدة 1689م مع فرنسا :

"يعترف للف屁股 بامتياز حق اختيار منزله وذلك الأمر بالنسبة للتجار مقابل

<sup>1</sup>إيجار".

أو ما نجده أيضاً في البند السابع عشر من المعاهدة المبرمة مع الدانمارك في 10 أوت 1746 (معاهدة سلام وصداقة) ، على أن تكون هذه الإقامات في مستوى القناصل يتم استئجار هذه الفيلات إما من الرياس أو من الباليك ، فقد كان القنصل الفرنسي على سبيل المثال يدفع في حدود 2000 ليرة<sup>2</sup> كإيجار .

تمتعت إقامة القناصل بالحسنة التي تعرف في القانون الدولي الحديث بحرمة المسكن، وتتصف على هذه الحسنة المعاهدات المبرمة مابين إيالة والدول الأوروبية ، كان لكل قنصل إقامتين ، إقامة الصيف (إقامة الريف) ، وإقامة الشتاء(إقامة المدينة)، حفاظاً على قيمتهم وضماناً لكرامتهم مثل أهل البلاد.

#### إقامة الصيف (الريف):

تواجدت الإقامة الصيفية للقناصل بالمناطق الواسعة والواقعة خارج أسوار المدينة ، تضم منازل ذات طابع ريفي ، فهي منازل خارج للاستجمام <sup>3</sup> حسب تعبير حمدان خوجة، كما تتميز هذه المنازل الريفية بالحدائق والجانب الخاصة بالطبقية الترية من الرياس والقناصل الأجانب ، ولم يكن اختيار هذه المناطق للإقامة والاستجمام صدفة ، وإنما لتتوفر الشروط الطبيعية الملائمة للطقس، الغراسة ووفرة العيون (المياه): عين الزبوجة، الحامة، عيون القناصل\* وكذلك الآبار: بئر مراد راييس، بئر خادم، كل ذلك ساهم في تنوع الأشجار المثمرة، أشجار الزيتون والخروب، الليمون، البرتقال، والرمان،

<sup>1</sup>Balvin, J.la condition

<sup>2</sup> عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر ، الجزائر 1972 ص 236 .

3- عيون القناصل: مجاري مائية بمنحدرات جبل بوزيعة، عرفت بتلك التسمية لاستغلال مياهها في بساتين قنصليات سردينيا، صقلية، والدانمارك.

فكان موقعها خلايا اختار القنصل لإقامة الصيفية، ويعمل في هذه المنازل الأسرى المسيحيين، كما كان كل قنصل يسعى أن لا يكون أقل من زميله من دولة أخرى لا سيما التنافس بين القنصليين الفرنسي والإنجليزي.

اقتدى القنصل الأجانب بالجزائريين الذي يفضلون سكن ضواحي المدينة التي تنتشر فيها الديار العربية الأنique ذات الأقواس العديدة والسطح الأفقية<sup>1</sup> و المشرفة على البر والبحر للتمتع بالطبيعة، فاختارها مقرأ لإقامتهم، وكانت القنصلية السويدية من أجمل ديار الأبيار، و الدار الحمراء التي كان يقطنها علي راييس و صالح راييس وأصبحت قبل الاحتلال ملك للدaiي حسين التي أوكل تسخيرها إلى القنصل الإنجليزي سان جون<sup>2</sup>، يقع هذا القصر موافقاً لمسجد علي بتشين.

### إقامة الشتاء: (المدينة)

ذكرنا سابقاً أنه حافظاً لكرامة القنصل و قيمتهم كانت لهم إقامتين، و سنحاول أن نعطي ولو فكرة موجزة عن إقامتهم في المدينة.

كانت القنصليات وموئليها تتجمع في حي واحد في المدينة السفلية قرب حي البحري<sup>3</sup> وكذلك في شارع واحد يعرف بشارع القنصل<sup>4</sup>\* la rue des consuls ، كانت الإقامة في حي الرياس لأن أعلى المدينة كانت ممنوعة على الأوروبيين، أقام القنصل في منازل ذات طابع إسلامي يتم استئجارها من الباليلك على مقر كل قنصلية علم فالريف أو المدينة وإنزال العلم من قبل سلطات الإيالة دليل على قطع العلاقات، وذلك ما فعله daiي مصطفى باشا مع القنصلية الفرنسية في عهد تانفيلي، ونفس الإجراء قام به daiي حسين في 02 أكتوبر 1828:

<sup>1</sup> عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر، الجزائر، 1972، 238.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، ج 2، الجزائر، م.و.للكتاب، 1988، ص 144.

<sup>3</sup> Boyer pierre , la vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Paris : Hachette, 1963, p 254.

\*شارع القنصل: هو شارع زاوية الكشاش يمتد من البحري إلى شارع حمام الملاح.

<sup>4</sup> Bardoux, j, la vie d'un consul auprès de la régence d'Alger, R.A, 1924, p 198.

" تم إنزال العلم الفرنسي بأمر من الداي ورمى الأثاث في الخارج، وفي 12 أكتوبر 1828 تكفل القنصل السريديني باسمه الخارج تسبيير شؤون القنصلية الفرنسية..."<sup>1</sup>

كان على باب كل قنصلية حارسين انكشاريين لحراسة القنصلية ولضمان سلامة المبعوثين дипломасиin وأثنائهم وذلك يندرج ضمن حصانة المقرات ما تنص عليه الاتفاقيات المبرمة بين الإيالة والدول الأوروبية، وللقنصل الحق في استبدالهما إذا رأى فيما تقاعوا في أداء الوظيفة المنوطة بهما.

كنموذج للإقامات في المدينة، وما توفر لدينا من مادة حول القنصلية الفرنسية التي كانت ملكا للرايس اسماعيل<sup>2</sup>، استئجرها القناصل بمائة قرش، تقع هذه الإقامة في المدينة السفلى قرب الميناء وكذلك قرب الجنينة.

كان إيجار إقامات القناصل جد مرتفع في بعض الأحيان فتخلق صعوبات مالية للقناصل، وذلك ما نستشفه من مراسلة القنصل لومير le maire أن حقوق القنصلية لم تكن كافية حتى لدفع الإيجار، فحاولت رفع أجور قناصلها تفاديا لهذه المشاكل فصدر قرار من المتصرف المالي لوبري Lebret بدفع 3000 ليرة<sup>3</sup> كراتب و 3000 ليرة كنفقات أخرى لإيجار ومصاريف الإقامة.

بحكم موقع القنصليات وتجمعها في شارع القناصل وفي حي واحد الواقع في المدينة السفلى القريبة من الشاطئ، جعلها عرضة للكثير من المخاطر في حالة الاعتداءات والقصف البحري من أعداء الإيالة كالقصد المدفعي الذي تعرضت له مدينة الجزائر، قبل قطع الأسطول الإسباني في 01 أوت 1753<sup>4</sup>، فقد أحرق من جراء ذلك منزل قنصل السويد وأصيب منزل قنصل فرنسا بأضرار كبيرة.

<sup>1</sup>Playrair, Histoire des retentions de la grande Bretagne avec les états barbaresques, R.A, 1880, p 193.

<sup>2</sup>Boulard Claude, les consuls français dans la régence turque d'Alger, 1581 – 1827, l'Algérieniste, N° : 55, 1991, p 18.

<sup>3</sup>ACCM, série j, Art/1354 – 1691/02/13 – le maire رسالة

« Je ne puis subvenir m'étant épuisé j'ai fais pour contrebalancer les profusions de nos ennemis qui répondant en toutes mains ayant de bons fonds, ce qui fait qu'ils de maintiennent toujours au vent de nous dans ces lieux ».

<sup>4</sup> عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)، الجزء الثاني، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 198.

ما يهمنا أن هذه الإقامات ستلعب دورا في الدبلوماسية الأوروبية في إيمان الجزائر، إذ أنها تستغل الجوار لخدمة أغراضها على الصعيد الداخلي بانتهاج تصرفات ومعاملة خاصة بالاقرابة من الديايات والعناصر النافذة لبلوغ أهدافها.

## الفصل الرابع: مسألة الأسرى في الجزائر

احتلت مسألة الأسرى حيزا هاما في علاقة الإيالة بالقوى الأوروبية و ذلك بالتوقيع على المعاهدات في إطار تحريينهم، و كانت المحور الأساسي للمفاوضات باعتبارها احدى محركات العلاقات الدولية، و إن كان الأهم والأولى فيها هو المحرك الاقتصادي الامتيازات التجارية.

كما لعبت الآلة الدبلوماسية سواء عن طريق القنابل أو المفاوضين دورها في فك أسر الأوربيين في الجزائر إما عن طريق التفاوض أو التبادل أو تحديد الأسعار.

كما أن التزايد الكبير لعدد الأسرى في الجزائر سمح لهم بأن يصبحوا عناصر فاعلة داخل المجتمع الجزائري في إطار علاقة تأثير و تأثر و كان وضعهم في الجزائر يختلف من أسير إلى آخر ، إلا أن وضعهم عموما كان احسن بكثير من وضع الأسرى المسلمين في البلاد الأوروبية و كانوا يقيمون بالسجون التي أطلق عليها البانيوهات<sup>1</sup>.

كان الأسرى يخضعون لإجراءات و قوانين خاصة تتدرج ضمن عملية البيع في الأسواق و بأسعار مختلفة من أسير إلى آخر بحسب وضعه الاجتماعي و المهني ، و تحدد الوضعية الاجتماعية لهؤلاء الأسرى من خلال الخدمات الاقتصادية و الاعمال التي يمارسونها ، مما ترتب عنها تصنيف للأسرى.

---

<sup>1</sup> وولف جون بابيست ، م السابق، ص 57.

## المبحث الأول : السجون في الجزائر

وزع الأسرى في إيالة الجزائر على مجموعة من السجون أطلق عليها اسم **البانيوهات\*** أو **الزندانات<sup>1</sup>** و يذكر دولا كروا Petit de la croix على عددها أربعة في حين يذكر كورتينيه Courtinat في دراسة أنها عددها ستة سجون لينخفض إلى أربعة سجون سنة<sup>2</sup> 1830. و يبدو أن ذلك مرتبط بقوة نشاط البحرية الجزائرية وبالتالي تطور عدد الأسرى.

### أ. وصف السجن :

يتكون السجن من مساحة داخلية محاطة برواق مرتفع، قسمت إلى غرف مستطيلة تتسع الواحدة منها إلى 20 أسير، و كانت الغرف مستطيلة تعتمد الإنارة فيها عادة على النور المتصل بالفتحات الخارجية، و كان الأسرى يفترشون الحصائر.

لقد وقع اختلاف في عدد السجون بمدينة الجزائر و أغلب المصادر الأوروبيّة تشير إليها فقط، فهابيدو<sup>3</sup> قدم لنا معلومات دقيقة عن السجون، حيث أشار إلى السجن الكبير و هو مربع الشكل طوله 70 قدما و عرضه 40 مترا يقع هذا السجن في شارع السوق الكبير باتجاه باب عزون. أما السجن الثاني فيدعى الباسترد ليس كبيرا إلا أنه يحتوي على عدة غرف، كان مخصصا لعبد المخزن التابعين للدولة و المكلفوّن بإنجاز الأشغال العامة، و تعود هذه التسمية لعدد الأسرى الذين أسرו ( 11000 أسير) كانوا على متن سفينة باستردن<sup>4</sup>، كما أشار الأب دان Père Dan إلى وجود ست سجون كبيرة احتوت على 3000 أسير، و ذكر كل من كاثكارت و فونتيردي بارادي ثلاثة سجون و ذلك خلال القرن الثامن عشر، و الظاهر أن عدد السجون مرتبط بنشاط البحرية و كذا بتطور عدد الأسرى، و لا شك أن الداي كاثكارت قدم لنا وصفا دقيقا لهذه السجون الثلاثة: سجن البايلك، سجن جاليرا، سجن حمودة.

\*البانيوهات : (Bagne) هي كلمة مشتقة من الإيطالية و كانت تكتب في البداية « Bain » و أصبحت في القرن 16 « Bagne » و يعتقد البعض الآخر على أنها من أصل إسباني « Bano » و تعني الحمام ، ففي البداية كان الأسرى المسيحيون يسجّنون في الحمامات. و بعد تزايد عددهم خصصت لهم بنايات عرفت باسم السجن.

<sup>1</sup> نصر الدين براهمي، تاريخ مدينة الجزائر العهد العثماني، تعليق، علي تابليت، منشورات تالة:الجزائر، 2010، ص88  
<sup>3</sup> ولف جون بايسست ، م السابق، ص58

<sup>4</sup>Ventune de paradis , op, cit, p51

### 1. سجن البايلك:

يعتبر هذا السجن أكبر السجون المعروف باسم سجن الملك « Bagne du roi » الواقع بشارع باب عزون و الذي كان من أشهر أسراء بانانتي<sup>1</sup>, حيث يصفه كاثكارت\*الأسير الأمريكي بشكله المستطيل، إذ يقدر طوله ب 140 قدمًا و عرضه 60 قدمًا و يتكون من ثلاثة طوابق بارتفاع 50 قدمًا توجّد به حانات بالطابق السفلي يديرها أسرى مسيحيين مقابل إيجار ، يضم جميع المجرمين و غالباً ما يقيّد عدد منهم أربعون أو خمسون مجرماً بالأغلال و السلاسل.

### 2. سجن جاليرا(القاليرا) :

يعرف بسجن الجذفين<sup>2</sup> ، لأنّه كان ينزل الأسرى الموجهين للتجذيف في السفن الجزائرية، و يرى الأستاذ تابليت<sup>3</sup> أنّ معظم نزلاء هذا السجن في أواخر عمر الإيالة هم من الأسرى الأمريكيان مبني بنفس التصميم الذي بني به السجن الأول، و لكن لا يحتوي إلا على طابقين و ليس له نفس الطول، كما يحتفظ بهذا السجن في طابقه الأرضي بأقباصل الأسود و النمور ، أما فوق السطح هناك صفان من الغرف الصغيرة يقع أحدها فوق الآخر يسكنها الأسرى الذين لهم القدرة على دفع إيجارها<sup>4</sup>

### 3. سجن سيدى حمودة:

سمى بهذا الاسم لأنّه يقع بالقرب من ضريح الولي الصالح سيدى حمودة<sup>5</sup> و يعد أصغرها، و يذكر كاثكارت في مذكراته أنه كان يملك به حانة بالإضافة إلى حانته في سجن قاليرا<sup>6</sup> فكان العبيد يديرون الحانة الأولى لحسابه و يدفعون عائداتها المالية له و ذلك يعكس وضعه المالي الذي جعله في وضع أفضل من رفقائه الأسرى، حتى أنه كان يخفّ عنهم آلامهم، و ظروف الإقامة أفضل من بقية السجون، و تجدر الإشارة إلى أن إدارة هذه

<sup>1</sup>Pananti signor, op, cit, p68 : « it was the great bagno ».

\*كاثكارت: أسير أمريكي أسر في جوبلية 1785 عندما استولى الجزائريون على سفينة ماريابوسطن أصبح كاتبا في قصر الداي ما بين 1787-1788 عمل ك وسيط بين الداي و القنصلين الأجانب ، حين عجزهم في الحصول على مقابلة مع الداي، ثم عمل كاتب في سجن جاليرا لمدة 3 سنوات، و من خلال تسييره للحانات أصبح ثريا و بعد افتداه أطلق سراحه و عين قنصلا في طرابلس.

<sup>2</sup> وولف جون بايسيلت ، م السابق، ص234.  
<sup>3</sup> جيمس كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قفصل أمريكا في المغرب، ترجمة اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص57.

<sup>4</sup> كاثكارت جيمس ليندر، مرجع سابق، ص60.  
<sup>5</sup> جيمس ويلسن ستيفن، الأسرى الأمريكيان في الجزائر، 1785-1797، ترجمة علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر 2008، ص196.  
<sup>6</sup> جيمس كاثكارت، المرجع السابق، ص130.

السجون أوكلت إلى حراس يدعون بالغارديانات<sup>1</sup> تقتصر مسؤوليتهم على الأمان داخل السجن و على طعام الأسرى و مراقبة توزيع القوت و المؤن، و كذلك خروج الأسرى المخصصين للعمل، كما أن الأسرى منحت لهم امتيازات في إدارة الخمارات داخل السجون و دفع ضريبة للدai مقابل ذلك و بدون شك فإن المداخل التي كانوا يتحصلون عليها من هذه الخمارات سمحت لهم بشراء حريرتهم.

و يشير كاثكارت « إن التقليد المتبع في الإيالة هو أنه حينما يحظى الباي أو القائد أو سفير دولة أجنبية أو قنصل بمقابلة الدai ، و تقدم إليه القهوة التقليدية يترك على صحن فنجان القهوة قطعة نقدية ذهبية تكون في مستوى مرتبة الزائر الذي نال شرف شرب القهوة مع الدai وهذه المبالغ يجمعها القهوجي و يضعها في صندوق مغلق محفوظ في منزل الدai الخاص، و يقوم الدai بإضافة مبلغ من ماله الخاص إلى محتوى الصندوق ثم يوزع على الأسرى مرتين في السنة»<sup>2</sup>

و ما يمكن أن نستخلصه أن الأسرى المسيحيين في الجزائر أوفر حظا من الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية و يتجلّى ذلك في التسامح الديني و الحرية في ممارسة الشعائر الدينية و ذلك من خلال الممارسة العادلة كقدس الأحد و الأعياد الدينية، مما أثار تعجب حتى الأسرى<sup>3</sup> أمثال سرفانتس Cervantes ، فقد تمنع هؤلاء بالراحة أو العطلة بمناسبة الأعياد الدينية الإسلامية (عيد الفطر) لمدة ثلاثة أيام بالإضافة إلى تمعهم بنشاطات متعددة كممارسة التجارة و تحقيق أرباح طائلة كتسبيير الحانات.

<sup>1</sup>Venture de paradis, op, cit, p50

<sup>2</sup> جيمس كاثكارت، المرجع السابق، ص.58

<sup>3</sup> TemimiAbdeljelil, « Pour une histoire de la grande mosquée d'Alger », Revue d'histoire maghrébine, 1980, p182

## المبحث الثاني: أوضاع الأسرى في الجزائر

يشكل الأسرى في الجزائر قطاعاً كبيراً من السكان، رغم أن الأغلبية منهم كانوا إسبانيين أو إيطاليين فإن هناك أيضاً أسرى من كل أنحاء أوروبا وأغلبهم من الرجال، كان وضعهم مختلفاً كثيراً عن باقي الفئات الاجتماعية بالنسبة للتركيبة السكانية في الجزائر، فبعضهم كان يعمل جذافاً في البحر، وبعضهم الآخر عملوا في مقالع الحجارة، وفي المزارع وشق الطرق أو عمليات البناء غير أن هناك من كانوا خدماً متوفين عاملين في البيوت كأفراد من العائلة مرتدین ثياباً فاخرة و كانوا عملهم خفيفاً، وكان آخرون يديرون خمارات أصحاب حرف صناعياً مهراً في أحواض صناعة السفن وبلغ عددهم حوالي 25000 أسير في منتصف القرن السابع عشر<sup>1</sup>.

### أولاً- توزيع الأسرى:

قبل الحديث عن توزيع الأسرى لابد من طرح السؤال الآتي، من يكون هؤلاء الناس (الأسرى) الذين كانوا يباعون في المزاد عبر مختلف الأسواق كما تباع الأموال؟، لقد كانوا أناساً يتكلمون كل اللغات أوروبية معظمهم جاءوا من شواطئ البحر المتوسط أو من مناطق قريبة من هذا البحر من جهة المحيط الأطلسي<sup>2</sup>، تضم الألمان، الانجليز، الهولنديون والفرنسيون، ولعل معظمهم كانوا بحارة أسرروا وهم في البحر، ولكن هناك آلاف منهم أسرروا أثناء الغارات وأولئك المسافرين على ظهر السفن و اعتقلوا كغنائم، و هكذا فإنهما كانوا على أنواع : فيهم أعلى النبلاء وكبار المالكين، ضباط السفن، التجار و المسافرون البرجوازيون بالإضافة إلى الفقراء.

كما يشكل الأسرى سواء أكانوا في النوع العالى أم النوع الأدنى يمثلون مظهراً هاماً من مظاهر الازدهار الاقتصادي<sup>3</sup> (مصدر للثروة)، حيث كان نظام الاسترافق ضرورياً لاقتصاد الإيالة بجلب عائدات مالية ( العمالة الأجنبية) عند افتداهم.

قبل أن نتناول كيفية توزيع الغنيمة عند وصولها إلى الجزائر فعندما يحصل الرئيس على غنيته البحريّة و قبل معاينة السفينة و يقدر قيمتها<sup>1</sup> حيث يحدد عدد الأسرى و كمية و

<sup>1</sup> وولف جون بايسست ، الجزائر وأوروبا 1500-1830 ، ترجمة أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009، ص 171.

<sup>2</sup> وولف جون بايسست ، م السابق، ص 208-209.

<sup>3</sup> وولف جون بايسست ، م السابق، ص 212.

نوعية البضائع والسلع، يعد كل ذلك في تقرير مفصل يقدمه إلى الداي عند وصوله إلى الجزائر و عند وصول الغنائم إلى ميناء الجزائر تخضع إلى احصاء من طرف وكيل الخرج، فيحصل الداي على 12% من مجموع البضائع ويؤخذ 1% لصيانة أرصفة الميناء وأصحاب السفينة و الرئيس يحصلون على النصف و النصف الآخر و يوزع على البحارة بحسب رواتهم<sup>2</sup>:

الرئيس: 20 سهما.

باشا الرئيس 5 أسهم.

الآغا : ثلاثة أسهم.

الأسير المسيحيين (الذي يستعمل في الغزو): سهمين.

الانكشاري: سهم واحد.

أما فيما يخص الأسرى و توزيعهم فعندما تصل السفينة الأسيرة إلى الميناء ، يقاد الأسرى على قصر الجنينة أو "دار الإمارة" حتى يقدر الداي حقه ( 12%) من مجموع الأسرى، فيختار العناصر التي تمت بحرفه أو مهنة معينة أو ذات مكانة اجتماعية مرموقة حتى يجني مبالغ كبيرة من فديتهم<sup>3</sup> ، كما يحتفظ الداي بحق شراء الأسرى (الرقيق) بالسعر الذي وصل إليه المزاد من أول مشتري، ثم يقاد بقية الأسرى إلى البانيو(Bagno)<sup>4</sup>.

#### ثانياً: عملية بيع الأسرى:

بعد اختيار الأسرى من طرف الداي و الاحتفاظ بالعناصر ذات وزن اجتماعي و قيمة مالية عادية من عملية الافتداء أما بقية الأسرى فيعرضون للبيع، حيث يتم استئجارهم أو تشغيلهم<sup>5</sup>.

و في صباح اليوم التالي تجرى عملية البيع في سوق رئيسي بعد فحص أيديهم، أسنانهم و صحتهم العامة و احتمال السن و امكانية القيمة النقدية للفداء.

أما البيع فيجري بعد صلاة الظهر<sup>1</sup>؛ حيث يستعرض الحراس الأسرى الواحد إثر الآخر إلى المنصة و إعطاء فكرة للحاضرين عن قيمة كل أسير الحقيقة أو المحتملة في

<sup>1</sup> Laugier Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Ed Loyser, Paris, 1992, p271

<sup>2</sup> أرزقيشوتام، المجتمع الجزائري و فعالاته في العهد العثماني، 1519-1830، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، الجزائر، ص 141 وولف جون بايسنست ، م السابق، ص 210

<sup>3</sup> الأمين محمد، القرصنة و شروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر في القرن 18، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ص 27.

<sup>4</sup> المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 209

الفاء و إعلامهم كذلك بمهنته، و عندئذ يباع الأسير على المشتري الذي يدفع أعلى ثمن، دون أن ننسى أن عملية البيع كانت تتم بحضور الرياس، و بعض الضباط المنتدبين خصيصا لمراقبة العملية و ملاحظة أثمان بيع الأسرى.

تتواصل عملية البيع بحضور السمسارة في إطار المزاد العلني حتى يصل الحاضرون إلى مرحلة لا يقترح فيها أحد ثمن أعلى من الثمن المقترن، عند ذلك يقوم البائع المسؤول عن عملية البيع بكتابة السعر.

لقد اختلفت أسعار الأسرى في السوق<sup>2</sup> و ذلك راجع إلى جملة من الأسباب، فعادة يكون الثمن حسب العرض و الطلب للأسرى في السوق، كما كان السعر يخضع لظروف مختلفة في تحديده انطلاقا من تقدير وضعه الاجتماعي الأصلي.

### ثالثا: أعمال الأسرى:

استطاع الأسرى أن يكونوا لأنفسهم فئة معينة في المجتمع الجزائري فقد تحددت وضعيتهم الاجتماعية بفضل الخدمات الاقتصادية والأعمال التي يؤدونها<sup>3</sup>، و هكذا صنف الأسرى إلى أربع مجموعات حسب أعمالهم و هي:

1. الميسترانس Mistrances: ذوي الحرف و المهن.
2. المرينيين Mariniers: يتم استعمالهم لخدمة البحارة.
3. Caravanes: الحمالين.
4. Passabarres: المكلفون بأعمال أقل مشقة<sup>4</sup>. و تقتضي العادة أن الأسرى رى التابعين للدولة أن يرتدي كل منهم خاتما حديديا حول رسغ قدمه و الذي كان دائما علاما واضحا دلالة بتبعية الأسير للدولة دون ايذائه أو إهانته: فكان الأسرى بعد فتح أبواب السجون<sup>5</sup> يتوجه كل أسير إلى عمله المخصص فأصحاب الحرف و المهن يتوجهون إلى الورشات (الحدادة، البخارية، صناعة الأشرعة و يتلقاون على ذلك أجرا، فإن عمل البحريية للأسرى هو

<sup>1</sup> وولف جون بايبست ، م السابق، ص 212

<sup>2</sup> المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 300

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص 266.

<sup>4</sup> رحمة بليل، دور العمل البحري في اقتصاد إقليم الجزائر خلال القرن 18، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 2، 2010، ص 48.

<sup>5</sup> جيمس ويلسون ستيفن، الأسرى الأميركيان في الجزائر، 1785-1797، ترجمة علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر 2008، ص 259.

أقل تعباً، ولكن عند الاستعداد لحملة بحرية<sup>1</sup> مجبورون على العمل ليلاً للقيام بالتحضيرات الضرورية، أما صنف آخر منهم اشتغلوا في حدائق مختلفة للقناصل المقيمين في الريف.

أما عمل التجذيف فاقتصر على صنف من الأسرى في تسبيير السفن، و إذا كان عملهم غير كافيا يتم استئجاره وإلقاء من التاجر و يختار الرئيس الأسرى الأكثر قوة و جدارة لهذا العمل.

فيأخذ عدداً منهم يتراوح ما بين العشرة و خمسة عشر أسيراً و يدفع مقابل ذلك إثنين عشر ريال على كل واحد منهم عن كل رحلة بحرية<sup>2</sup>.

أما أولئك الذين لا يملكون حرف أو مهنة فإنهم يقسمون إلى مجموعات و يكلّفون بالقيام بمختلف الأشغال العمومية، مثل شحن السفن و تفريغها و نقل الحجارة من المحاجر الواقعة خارج المدينة في إقامة الموانع البحرية ضد أمواج البحر، بالإضافة إلى الأسرى الذين يعملون في قصر الباي، هناك عدد منهم يستخدمون أيضاً في العمل لدى مختلف الموظفين و المستشفيات المسيحية، و تجدر الإشارة إلى أن الأسرى من ذوي المكانة المرموقة كرجال الدين و الضباط، كانوا معفيين من العمل إلا في حالة تأخر فديتهم<sup>3</sup>.

إن الوضع العام للأسرى الأوروبيين في إمارة الجزائر اختلف من أسير إلى آخر لأن وضعهم عموماً كان أحسن بكثير من وضع الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية، و ذلك من خلال شهادة بعض الأسرى الأوروبيين، إذ سُمح للبعض منهم تقلد بعض الوظائف في قصر الباي ذكر منهم الأسير "تيدنا"<sup>4</sup> الذي وقع أسيراً عام 1775 تحوله من خام في قصر الباي محمد الكبير (باي معسكر) إلى خزندار - و يخبرنا الأسير الأمريكي كاثكارت<sup>5</sup> الذي أسر عام 1785 و أصبح رئيس موظفي القصر في عهد الباي حسين.

<sup>1</sup> أرزقيسيوتام، مرجع سابق، ص 141

<sup>2</sup> عمار عمور، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج 1، ص 232-233 .

<sup>3</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ط 7، ج 3، ص 361 .

<sup>4</sup> أحيمدة عمباووي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر (العهد العثماني)، مذكرات تيدنا نموذجاً، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 34.

<sup>5</sup> جيمس كاثكارت، المرجع السابق، ص 63 .

### المبحث الثالث: تحرير و افتداء الأسرى:

كانت عملية الافتداء عملية صعبة و معقدة ترتبط بطبيعة العلاقات بين إمارة الجزائر و الدول الأوروبيّة و الحصول على الأموال الازمة لذلك. و لم تكن مدينة الجزائر وحدها مختصة في ذلك، بل هناك موانئ أخرى تخصصت في تزويد الإمارة بالأسرى فقد كان ميناء المرسى الكبير بعد تحرير وهران الأول 1708 على يد مصطفى بوشلاغم يستقبل الغنائم يومياً تقريباً و كان سجن قصبة وهران مليء بالأسرى<sup>1</sup>.

خضعت هذه العملية إلى مجموعة من الإجراءات كانت تستغرق مدة زمنية معتبرة و تتطلب جهود معنوية و مادية كبيرة حيث كانت تتطلّق أولاً من الأرضيّة المسيحيّة بداية بعملية جمع الأموال وصولاً إلى إمارة الجزائر، حيث تكون فيها إجراءات أخرى. رافقت عملية جمع الأموال أو ما يسمى بـ «مواكب جمع الأموال» مجموعة من الطقوس ، و اتسمت هذه العملية بالتنظيم بحيث ساهم فيها عدة أطراف كالملوك و الكنيسة و حتى الشعوب.

كما كانت هذه المواكب تحضر بعناية و إتقان من طرف آباء الفداء في شكل دراما حقيقية إذ ينتقلون من قرية إلى أخرى و من مدينة إلى أخرى يجمعون المال للفداء و يصف "طاسي" Tassy على أن أولئك الأعضاء كانوا يخبرون بحكايات مبالغ فيها، يستعرضون الأسرى في «محفل مهيب....يلح لهم غير المحلقة... و بوجوه تعسفة... و هم متقلّون بالسلسلة» و الغرض من ذلك استعطاف بالناس الذين كانوا يرمون بالذهب و الفضة في الأواني<sup>2</sup>. كان آباء الفداء دائماً محل ترحيب في الجزائر من طرف الداي الباشا في استقبالهم بمعاملة حسنة دون الاعتداء<sup>3</sup> عليهم للكشف عن نقود الفداء، و بعد وصولهم و الترحيب بهم تنتظرون إجراءات أخرى لابد من القيام بها حتى يسهل عليهم تحرير الأسرى، فأولاً يجب عليهم الحصول على وثيقة الجواز الرسمية باعتبارها ضرورية لتحديد شروط الفداء و ثمن الفدية، و تنص أيضاً على دفع رسوم جمركية، و بعدها يباشر آباء الفداء عملية التفاوض مع الجهة المالكة.

<sup>1</sup> Feyleon, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, Oran, 1858, p 140.

<sup>2</sup> وOLF جون بايسست ، م السابق، ص 216

<sup>3</sup> حفيظة خشمون، مهام مفتشي الأسرى والتزاماتهم المعيشية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة الماجستير في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، أشرف أ.د. كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ، 2007، ص 77.

وقد تعددت طرق افتداء الأسرى بإيالة الجزائر و أهمها التنظيمات الدينية المسيحية التي كان لها دوراً كبيراً في عملية الافتداء أشهرها: التنظيم التثليثي المقدس، تنظيم آباء الرحمة و تنظيم الجماعات اللازارية دون أن ننسى دور القناصل، وأيضاً عملية تبادل الأسرى بين الطرفين.

#### أولاً: إجراءات الافتداء:

##### أ. جمع أموال الفداء:

إن عملية الافتداء التي تتم من طرف الآباء و القساوسة تكون مكلفة كثيرة، لأن هؤلاء مجبون على دفع بعض الحقوق و مرغمون على تقديم هدايا للداعي و العناصر النافذة و غالباً ما يتطلب تحرير بعض الأسرى مبالغ باهظة تحددها إدارة الداعي<sup>1</sup>.

كما واجهت أوروبا مشاكل خلال سنة 1750 أثرت على عملية جمع الأموال باختلال اقتصاد بعض الدول الأوروبية نتيجة الصراع الذي غطى كامل أروبا الغربية (حرب الثلثين سنة)<sup>2</sup>.

و من أجل تغطية تكاليف الفداء الكبيرة، دفع بالمسيحيين لتقديم الهبات و التبرعات المالية باستعمال عدة أساليب منها:

1. تخفيض 80-90% من الميزانية ووضعها تحت تصرف آباء و قساوسة الفداء من أجل افتداء أكبر عدد ممكن من الأسرى.
2. فرض غرامات مالية على كل فرد يحضر متأخراً لأداء الصلاة.
3. فرض غرامات مالية على السلع المستوردة من الخارج و تخصيص نصيب منها لغرض الافتداء.
4. تدخل رجال الدين في الكنائس من خلال إلقاء الخطب و إسداء النصائح الهدافة لإثارة حماس الأفراد و حثهم على تقديم الهبات.

و إن أكثر التنظيمات المسيحية نشاطاً في جمع الأموال ، تنظيم التثليثي المقدس و تنظيم آباء الرحمة، حيث كان للتنظيم الأول حوالي 250 فرعاً سنة 1789م منتشرة من البرتغال و إسبانيا إلى فرنسا و إيطاليا مع ملاحظة أن حوالي نصف هذا العدد كان في فرنسا

<sup>1</sup>Laugier Tassy, op, cit, p 286

<sup>2</sup>ولف جون بايلست ، م السابق، ص221

ووحدها ، تحصلوا على امتيازات منذ عهد الملك الفرنسي فرنسو الأول تسمح لهم بجمع الصدقات و التبرعات المالية<sup>1</sup> (les quetes) من مختلف المدن الفرنسية.

### ب. الوصول إلى الجزائر و مباشرة عملية الفداء:

قبل أن تصل البعثة للقيام بعملية الفداء يجب عليها أولا الحصول على وثيقة الجواز<sup>\*</sup> الرسمية و التي بدونها قد يتعدّر الوصول إلى البر الجزائري، تتضمن شروط الفداء:

1 - تدفع عند الدخول رسوم جمركية بقيمة ثلاثة بالمائة من الأموال التي تستعمل في

الudeau.

2 - يدفع عن الأسرى الذين تم فدائهم أربعون قرشا لكل أسير كرسوم عند المغادرة وسبعة عشر قرشا عند إزالة القيد.

3 - تؤدي السفينة التي تحمل الآباء والأسرى أربعون قرشا عند الرسو.

4 - يحدد ثمن أسرى الباليك الذين سيختضعون للفداء كالتالي:

- يدفع عن الذين يعملون بالسفينة ألف قرش، وعن الحرفيين وأصحاب المهن

(450) أربع مائة وخمسين قرشا، وعن الصنف العاملين بالقوافل والحدائق

(300) ثلاثة مائة، ومن ليست لهم أي مهنة (240) مائتين وأربعين قرشا.

- يدفع الآباء القائمون بالudeau رسوما نقدية بمجرد تسديد المبالغ المالية.<sup>2</sup>

و بمجرد وصول آباء الفداء (Les pères rédempteurs) إلى مدينة يتجهون مباشرة لتحية الداي حيث يقومون له هدايا متمثلة في بعض الجوائز والمبالغ المالية، و بعدها يطلب منهم الداي إعلامه بالمبلغ المالي والسلع التي جلبوها، ويرسل بعد تلقيه الجواب "أغاباشي" للتأكد من المبلغ، كما يرسل في إحضار الثروة إلى القصر، حيث يقتطع 3 بالمائة من قيمة المال و 5.12 بالمائة من قيمة السلع<sup>3</sup>، وتتوفر لأفراد البعثة سكن للإقامة و مترجم خاص ويسمح لهم بإعلام كنيستهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> وولف جون بايسست ، م السابق، ص 217

<sup>\*</sup> وثيقة الجواز: وثيقة سميت بمجموعة من 7 صفحات من الحجم العادي و هي الترخيص الرسمي الذي منحة داي الجزائر للبعثة الدينية الإسبانية المنتسبة لمجموعة التثليث المقدس بتحديد شروط الافتداء

<sup>2</sup> حنيفي هلايلي، التنظيم العسكري للبحرية الجزائرية في العهد العثماني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، العدد: 24، ص 274.

<sup>3</sup> وليام سبنسر، مص السابق، ص. 158.

<sup>4</sup> جون بابتست وولف، الجزائر و أوروبا،...، م السابق، ص 217.

#### **جـ- التفاوض من أجل افتداء الأسرى:**

كان آباء الفداء يتفاوضون مع الجهة المالكة من أجل تحرير الأسرى من مختلف الفئات، كل الاستراتيجيات وطرق المطبقة في عملية الفداء هدفها واحد وهو تحرير الأسرى بأسعار جيدة، لهذا نجد المفاوضات تستغرق عادة شهرين أو أكثر قبل أن تتوج بنتائج، حيث أن آباء الفداء يريدون تحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى برؤوس الأموال التي يملكونها، بينما يسعى المالك للأسرى الحصول على هذه الأموال مقابل إطلاق سراح أقل

## ١ عدد ممکن منهم

والصعوبات التي تعرّض المفاوضات غالباً ما تتعلّق بتحديد عدد الأسرى الذين يمكن فدائهم وقيمة فدية الأسير، وبالنسبة لأسرى الدياي أو البايلك تتم المفاوضات بحضور الباشا المترجم و القساوسة يحملون معهم قائمة بأسماء الاسرى المعنيين بالافتداء إما طرف التنظيم التابعين إليه أو السلطات أو الأصدقاء الأسرى<sup>2</sup> وأول الأسرى الذين يحررُون هم أولئك الذين يملكون الدياي – البasha وهم في العادة أسرى كبار السن والعجزة الذين هم في غنى عنهم، ولا يقع أي تحرير للأسرى إلا إذا تمت الإجراءات بشأن هذا الصنف منهم.<sup>3</sup>

<sup>3</sup> يقع أي تحرير للأسرى إلا إذا تمت الإجراءات بشأن هذا الصنف منهم.

كان يرافق عملية التفاوض من أجل افتداء الأسرى تحديد قيمة الفدية والتي تدرج في تكاليف الفداء باعتبارها مداخليل استفادت منها الإيالة ويعد مالك الأسير سواء كان الداي أو الملك الخواص المستفيد الأول من عملية الافتداء وتختلف قيمة الفدية باختلاف جنس الأسير وعمره ومركزه الاجتماعي، ففي سنة 1750 قامت إحدى التنظيمات الدينية المسيحية بافتداء جماعة من أسرى الباليك بالجزائر بمقابلة فداء غير متساوية<sup>4</sup>، حيث دفعوا:

- 100 بیاسترہ عن کل اسیر دون مہنے۔

- 600 بياسترة عم كل أسير حRFي، وتم فداء (48) أسير بهذه الطريقة.

<sup>1</sup> حفيظة خشمون، مهام مفدي الأسرى والتزاماتهم... م السابق، ص 64.

<sup>2</sup> جون بابتست وولف، الجزائر و أوروبا،...، م السابق، ص 218.

<sup>3</sup> ولIAM سبنسر، مص الساپق، ص 159.

<sup>4</sup> حفيظة خشمون، مهام مفتي الأسرى والتزاماتهم... - م السابق، ص 66..

أما في 04 أكتوبر 1750 فقد ألزم الداي " محمد بن كبير" ( 1748 - 1754 ) رجال الدين بدفع 1000 بياسترة لافتداء رجل دين أسر على ظهر سفينة إسبانية<sup>1</sup>.

- 800 ريال للخدم، أما إذا كان الأسير من الشخصيات الملهمة فإن فديته تتضاعف<sup>2</sup>.

أما فيما يتعلق بالجنس فغالباً ما تكون قيمة فدية المرأة ضعف فدية الرجل فإذا تحرر هذا الأخير بدفع مبلغ 36000 فرنك فرنسي، فإن المرأة لا يمكنها استعادة حريتها إلا بدفع 72000 فرنك فرنسي أي ضعف المبلغ، ورغم ذلك فأباء الفداء يعطون أولوية لفدية النساء والأطفال لأن هؤلاء يسهل إدخالهم حسب رايهم في الديانة الإسلامية عكس الرجال البالغين.

### ثانياً: طرق الافتداء

إن تحرير هؤلاء الأسرى وافتدائهم كان يتم عادةً بواسطة رفع الفدية وليس بالقوة فتلجم الجهات الأوروبيّة إلى عدة أساليب وطرق إما عن طريق التجار اليهود بما لديهم من وكلاء في أهم المدن التجارية الأوروبيّة كمرسيليا و لعبهم دور الوساطة في عملية افتداء الأسرى وأخذهم لعمولة تقدر بـ 14%<sup>3</sup> وإنما عن طريق رجال الدين القساوسة المنتدبين لعملية الافتداء بالإشراف على جمع الأموال اللازمة للعملية بالإضافة إلى أموال أولياء الأسرى الميسورين<sup>4</sup>، يضاف إلى ذلك القناصل الأوروبيّين الذين لهم وكلاء مبعوثين من بلدانهم.

#### أ - دور القساوسة والتنظيمات المسيحية في الافتداء:

من الواضح أن الأغنياء والنبلاء كانوا يتوقعون دفع الفداء عنهم، ولكن ما مصير بقية الأصناف الذين لا يملكون نقود ولا عائلة ولا أصدقاء؟ فإن أسرى الإنجليز و الفرنسيين والهولنديين بعد منتصف القرن السابع عشر كان يتم تحريرهم عن طريق المعاهدات بين بلدانهم وإيالة الجزائر، وقد نتساءل عن مصير أسرى الإسبان والبرتغال أو إيطاليا؟

<sup>1</sup> أرزقيسيوتام، م السابق، ص 144.

<sup>2</sup> جون بابتيست وولف، الجزائر وأوروبا...، م السابق، ص 213.

<sup>3</sup> العربي اسماعيل، دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات، مجلة تاريخ و حضارة المغرب، ديسمبر 1974، العدد 12، ص 37.

<sup>4</sup> الأمين محمد، القرصنة و شرط افتداء الأسرى الألأمنين محمد، القرصنة و شرط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن 18 م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 21، ديسمبر 2000 ص 23.

في بينما كانت إبالة الجزائر تعقد معاهدات الصلح مع الدول التجارية القوية، فليس هناك سلام مع ملك إسبانيا ولم يكن هناك تمثيل قنصلي يسهر على مصالح رعایا الملك الإسباني، لذلك حاولت مختلف التنظيمات ملء الفراغ الذي خلفه الحروب الطويلة بين إسبانيا وإيالات شمال إفريقيا.<sup>1</sup>

وقد اتجه نشاط تلك التنظيمات الدينية كتنظيم الثالوث المقدس La Trinité<sup>2</sup> تنظيم فرنسي بالدرجة الأولى، وكذلك تنظيم أباء الرحمة La Merci<sup>3</sup> بالإضافة إلى تنظيم الجماعات اللازارية Lazariste<sup>\*</sup>.

كان لهذه التنظيمات دور كبير في تحرير الأسرى المسيحيين في البلاد الإسلامية وخاصة إبالة الجزائر من خلال جمع التبرعات عبر القرى والمدن الأوروبيية. لا يحب الاعتقاد بأن نشاط رجال الدين (القساوسة) يتم بمعزل عن الهيئة الفنصلية إذا كان القنصل الفرنسي هو الحامي غير الرسمي للقساوسة، كان الواجب الأساسي للقنصل الأوروبيين هو الافتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى سلطات الإبالة نيابة عن المقبوض عليهم من أبناء وطنهم<sup>4</sup>، لذلك من واجباتهم حماية الرعایا في الإبالة وهذا ما يجسد التنسيق بين رجال الدين والقنصل في إتمام إجراءات الافتداء والإشراف عليها.

### **ب تبادل الأسرى:**

إلى جانب عملية الافتداء عن طريق الأموال بواسطة رجال الدين والقنصل هناك أسلوب آخر وهو تبادل الأسرى دون فدية بين الطرفين، وكانت مسألة الأسرى الأوروبيين وافتدائهم من الوسائل الكبرى التي تضمنتها بنود المعاهدات الجزائرية الأوروبية وحجم المراسلات بين القنصل وحكوماتهم، حيث ساهم هذا الأسلوب في تحرير العديد من الأسرى، ففي عام 1755م أطلق سراح 107 من الجزائريين كانوا على

<sup>1</sup> جون بابتست وولف، الجزائر وأوروبا...، م السابق، ص 214.

<sup>2</sup> حفيظة خمسون، م السابق، ص 29.

<sup>3</sup> جون بابتست وولف، الجزائر وأوروبا...، م السابق، ص 215.

<sup>\*</sup> تنظيم الجماعة اللازارية: هي جمعية دينية تأسست على يد فرانسان دي بول (Saint Vincent de Paul) 1633 ، كان مقرها بالكنيسة القديمة لقديس لازار بباريس.

<sup>4</sup> وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياض البحر...، م السابق، ص 131.

متن سفينة حجزتها بحرية تابعة للبابا<sup>1</sup>، مقابل تحرير عدد مماثل من المسيحيين كانوا في الجزائر.

ويمكن أن يطلق سراح بعض الأسرى المسلمين في إطار المجاملة الدبلوماسية لبعض الشخصيات النافذة.

وقد عرفت طريقة التبادل مع إسبانيا تطوراً كبيراً باستغلالها توقيع المعاهدة مع المغرب الأقصى في 1784<sup>2</sup> في محاولتها تطبيع العلاقات مع إيالة الجزائر، كما يشير ذلك أيضاً إلى حسن العلاقات المغربية-الجزائرية في هذه الفترة، فعندما أرسل محمد الكبير (باي معسكر) كاتبه ابن هطال التلمساني إلى جبل طارق لشراء الأسلحة حمله رسالة وهدية إلى السلطان محمد بن عبد الله واستوصاه به خيراً<sup>3</sup>، فسهل السلطان مهمته إذ تمكّن من شراء 250 قنطرة من البارود وكمية من الأسلحة، غير أنها نميل إلى أن إسبانيا وملكها كارلوس الرابع إنما طلب الوساطة المغربية نتيجة للضغط العسكري على وهران من 1780 إلى 1791 من قبل الباي محمد الكبير.

كما احتل موضوع الأسرى حيزاً كبيراً في التفاوض وبنود المعاهدات المبرمة بين الجزائر والدول الأوروبية والتي تأتي في مقدمتها فرنسا التي عقدت مع الإيالة حوالي 60 معاهدة إلا وتنص على تحرير الأسرى وكذلك الأمر بالنسبة لمعاهدة التي عقدت مع البندقية في جوان 1763 وما يهمنا هو البند المتعلق بالهة Don للداي و المتمثل في: "إطلاق سراح الجزائريين مقابل امتناع السفن الجزائرية عن دخول بحر الأورياتيك"<sup>4</sup>.

لما حلّت سنة 1755 م وقع التبادل بين إسبانيا وإيالة الجزائر وصل عدد الأسرى الذين تم مبادلتهم إلى أكثر من 1300 أسير وفي سنة 1769 أطلقت إسبانيا سراح 1106 من الأسرى المسلمين مقابل إطلاق الجزائريين سراح 570 أسير إسبانيا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سلفاتور بونو، العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي، ترجمة أبي القاسم بن تومي، مجلة الأصالة، العدد 6، ص 116.  
<sup>2</sup> بوعزيز يحيى، وساطة السلطان محمد بن عبد الله بين الجزائر وإسبانيا 1768 – 1784، أعمال الذكرى الالافية لتأسيس حاضرة وجدة، 1994، ص 85.

<sup>3</sup> بوعزيز يحيى، وساطة السلطان محمد بن عبد الله...، م السابق، ص 87-88.  
<sup>4</sup> جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 – 1830، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ص 100.

<sup>5</sup> عمار عمورة، م السابق، ص 207.

خلاصة نرى أن موضوع الأسرى هو موضوع تقارب وتنافر، فقد تبادلت الأطراف الأوروبية والإسلامية التهم حول أصول ومحاور القرصنة، وإن كان برودل Braudel الذي اتّخذ موقفاً مغايراً الذي نخلص أن القرصنة ظاهرة عالمية وليس نشاط خاص بصفة دون أخرى من ضفاف المتوسط، وكأن التاريخ يعيد نفسه باتهام العالم الإسلامي بظاهرة الإرهاب.

كما احتلت مسألة الأسرى حيزاً هاماً في علاقة الإيالة بالقوى الأوروبية وذلك بالتوقيع على المعاهدات وكانت المحور الأساسي للمفاوضات تقودها الآلة الدبلوماسية (القناصل والمعوثين) يجنبها الظاهري السياسي الدبلوماسي وطرفها الخفي الديني وذلك من خلال التنظيمات المختلفة المشرفة على عملية الاقتداء وكانت مسألة الأسرى إحدى المحرّكات العلاقات الدولية، وإن كان الأهم والأولى فيها هو المحرّك الاقتصادي والامتيازات التجارية.

#### **المبحث الرابع: تأثير قضية الأسرى في العلاقات الجزائرية – الأوروبية**

كان للأسرى الأوروبيون تأثير كبير على العلاقات الجزائرية الأوروبية فجل الحملات العسكرية التي عرفتها الإيالة خلال هذه الفترة كان الهدف منها تحرير الأسرى، ومعاقبة الجزائر على نشاط الجهاد البحري. وقد شكل الأسرى الأوروبيون نقطة مهمة ارتكزت عليها المحادثات الجزائرية الأوروبية، ويبين ذلك من خلال البعثات الدبلوماسية. وإبرام سلسلة من المعاهدات بين الإيالة الجزائر و الدول الأوروبية احتوت بنودها على شروط تخص الأسرى. وأهم الدول التي تأثرت علاقاتها مع الجزائر بمسألة الأسرى والاسترقاء: فرنسا واسبانيا وإنجلترا، ونتيجة للنشاط البحري المكثف من قبل إيالة الجزائر واستمرارها في إلحاق أضرار كبيرة بالتجارة الأوروبية، عمدت هذه الأخيرة إلى عقد مؤتمر دولي لمناقشة مسألة الجهاد البحري وتبعاته المتمثل في مؤتمر فيينا 1815 الذي تعددت أهداف انعقاده إلى التدخل في شؤون دول المغرب وخاصة إيالة الجزائر.

وفي نفس السنة تكتلت الدول الأوروبية وأصدرت بيانا عاما نصت فيه على منع استرقاء المسيحيين، وبشرت بعدها في تنفيذ هذا القرار من خلال توجيه حملتها العسكرية على الجزائر، والمتمثلة في حملة اللورد اكسسوموث، الحملة الإنجليزية الهولندية 1816م.

#### **أولاً: مع فرنسا**

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالهدوء والسلم وخاصة بعد التوقيع على المعاهدات المبرمة بين الطرفين إلا أن هذا التحالف لم يدم طويلا، فقد بدأت العلاقات تتواتر وكانت قضية الأسرى أحد المسائل التي عكست صفة العلاقات بين البلدين.

ففي بداية القرن الثامن عشر وهي السنة التي تم فيها إقرار وتبنيت معاهدة السلم من طرف لويس الخامس عشر، لم يطرأ على العلاقات أي توتر ولكن منذ عام 1729 ظهرت بعض المشاكل مفادها استيلاء البحارة الجزائريين على أربعة مراكب فرنسية على السواحل الإسبانية، وقد كان هذا العمل كرد فعل على إخفاء فرنسا 32 شخصا جزائريا أسروا من طرف قراصنة مالطا، وسلموا هؤلاء الأسرى إلى مملكة فرنسا بالرغم ما تنص عليه

المعاهدة في مثل هذه الحالات وهو إطلاق سراحهم وإرسالهم إلى بلادهم، فإن الفرنسيين عمدوا إلى إخفاء أمرهم، ولكن خبرهم وصل إلى الجزائر وقبول الرد بالمثل.<sup>1</sup>

أرسلت فرنسا على إثر ذلك أربع سفن حربية إلى مرسى الجزائر للتهديد وإجبار الداي على تقديم ترضيات، فانزعجت السلطات من وصولها مما أدى بالدai إلى استدعاء القنصل الفرنسي وطلب منه توضيحات حول ذلك، خاصة وأن بعض الأوروبيين بالمدينة قد روجوا شائعات مفادها أن فرنسا تريد إهانة الدai.<sup>2</sup>

لقد رفض عبدي باشا ترضية أي مطلب للفرنسيين، وعندما قام القنصل بتهريب عدد من الأسرى، ام ردهم بالفعل وبعدها قام بإطلاق سراحهم.<sup>3</sup>

و في 11 نوفمبر 1763 وصلت إلى ميناء الجزائر ثلات بواخر حربية لتهديد الجزائر على إثر قيامها باعتقال جميع الفرنسيين المتواجدين بالجزائر والعاملين بمؤسسات القالة و عنابة بسبب حادثة تعود إلى رفض أحد المراكب الفرنسية التوقف للتفتيش عند إلتقائها بإحدى السفن الحربية الجزائرية قرب مدخل مضيق جبل طارق، وفي الأخير تمكنت فرنسا شهر جانفي 1764 م من إبرام صلح بينها وبين الجزائر نص على إطلاق سراح الأسرى وبعد إمضاء هذا الصلح حضرت إلى الجزائر فرقاطة الملك مع مركب آخر وعلى متنها عدد من الأسرى الجزائريين، وعادت العلاقات الحسنة مع فرنسا طيلة ربع قرن تقريبا.

قطعت الجزائر علاقاتها مع فرنسا بعد غزوها لمصر 1798 في إطار حملة نابليون بونابرت على مصر، فاعتقلت القنصل الفرنسي وموظفي القنصلية وأودعتهم السجن، فكان رد فعل فرنسا اعتقال يعقوب باكري وسيمون أبوقاية بباريس.<sup>4</sup>

و في سنة 1800 م قامت حكومة فرنسا ببعث ديبواثانفيل Dubois Thainville كقنصل جديد إلى الجزائر من أجل التفاوض على إبرام معاهدة صلح، وقد أمضى تانفيلي مع الديوان معاهدة سلم يوم 30 سبتمبر 1800، فاطلق فرنسا سراح يعقوب كوهين وأبوقاية.<sup>5</sup> واستطاعت فرنسا أن تحصل على معاهدة صلح أخرى بفضل الباب العالي، بعد ما رفعت فرنسا احتجاجها من جراء مهاجمة البحارة الجزائريين للسفن الفرنسية للباب العالي،

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 89.

<sup>2</sup> جمال قنان، معاهدات، م سابق، ص 182.

<sup>3</sup> جمال قنان، معاهدات، م سابق، ص 190.

<sup>4</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، م سابق، ص 100.

<sup>5</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، م سابق، ص 112.

فقام السلطان بواحب، فأرجع الجزائريون كل ما سلبوه، وعقدت هذه الاتفاقية يوم 11 ديسمبر 1801م، وقد استلمت هذه المعاهدة على تسعه عشر بندًا وكلها تصب في وعاء إعادة العلاقات الودية ما بين الدولتين.

ووفقاً للمادتين السابعة والثامنة من معاهدة السلام توصلًا بين الطرفين إلى منع استرداد جميع الأسرى المسيحيين المعتقلين وسائر السفن الفرنسية والإيطالية المحجوزة لديه.<sup>1</sup>

والبحارة الجزائريون مطاردتهم وملاحقتهم للمراتب الفرنسية فاعتراضوا السفينة الحربية بانيل Banil واستولوا على ما بها من التموينيات الحربية وأسرموا 200 بحراً و29 جندياً، وقادوا الجميع إلى باي وهران يوم 15 جانفي 1802م، وعندما احتاج تانفيل Thainville على ذلك، هدد الداي بطرده وجميع الفرنسيين إذا لم تدفع فرنسا له 200 ألف بياسرة في مهلة أربعين يوماً. وإذاء هذه الأوضاع كلف نابليون بونابرت الضابط هولان Hulain بالذهاب على رأس عمارة بحرية<sup>2</sup> إلى الجزائر لتهديدها، كما طلب بونابرت من وزير بحريته الأميرال دوكر Decrs أن يحشد عشرة بواخر حربية في البحر المتوسط تحسباً للطوارئ، وقد تمكّن هولان Hulin من إطلاق سراح أسرى سفينة بانيل المحتجزة ومحفوبياتها، وفي 27 جويلية 1802 التحق به القنصل الفرنسي على مركب لوماتان Le matin حاملاً رسالة تهديد إلى الداي جاء فيها: "...إذا لم تقم بردع كل من قام بإهانة ممثلينا وإذا لم أحصل على ترضيات منكم، فسأقوم بحشد ثمانون ألف جندي إن لزم الأمر، وأحطم إيتلكم، فكر أنت وأعضاء ديوانك في محتوى هذه الرسالة...".<sup>3</sup>

ولما أدرك الداي نوعاً من الجدية في التهديدات الفرنسية، قبل إطلاق سراح الأسرى وإعادة السفن المحتجزة ومحفوبياتها.

<sup>1</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 7، 1995 ج 163، ص 285.

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، م سابق، ص 114.

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، م سابق، ص 115.

## ثانياً: مع إسبانيا

يعد ملف الأسرى من بين القضايا التي أثرت أكثر في العلاقات بين إمارة الجزائر وإسبانيا باعتباره عامل تقارب وتباعد بين الطرفين. خاصة على إثر الحملات العسكرية التي شنتها على الإمارة والتي باءت بالفشل وقوع العديد من الأسرى بيد إمارة الجزائر.<sup>1</sup>

ففي التحرير الأول لوهان والمرسى الكبير 1707 تمكن الداي محمد بقطاش من اعتقال عدد كبير من الأسرى يقدر عددهم بحوالي ألفي أسير (بينهم فرنسيون و مالطيون).<sup>2</sup>

فالنسبة الكبيرة من الأسرى الأوروبيون بالإمارة معظم من الإسبان ولا شك بأن هؤلاء كانوا محل اهتمام من طرف الحكومة الإسبانية وهذا ما جعل إسبانيا 1768 تقوم بجهود دبلوماسية فتح باب المفاوضات مباشرة مع إمارة الجزائر، بعد الوساطة المغربية بقيادة السلطان محمد بن عبد الله بتبادل الأسرى بين الطرفين بحيث تم التوصل في النهاية إلى اتفاق يقضي بتبادل الأسرى شريطة إطلاق إسبانيا لجميع الأسرى المسلمين مقابل إطلاق سراح الأسرى الإسبانيين، وبموجب هذا الاتفاق أطلقت إسبانيا 1200 أسير مقابل 712 أسير إسبانيا.

أعيد تطبيق هذه الاتفاقية سنة 1773م<sup>3</sup>، واشترطت إمارة الجزائر في هذه المرة على إطلاق سراح أسرى مسلمين مقابل أسير إسباني وبذلك أطلقت إسبانيا 1606 أسيرا مقابل إطلاق الجزائريين سراح 570 أسير من الإسبانيين.<sup>4</sup>

إن إبرام هذه الاتفاقية لم تضع حدا للنزاعات بين الطرفين حيث عادت السفن الجزائرية إلى الإغارة على السفن الإسبانية وعلى سواحلها ويعود ذلك إلى الموقف العدائي الإسباني ضد مسلمي الأندلس والجزائر وإزاء هذا الأمر قرر شارل الثالث ملك إسبانيا شن حملات عسكرية ضد إمارة الجزائر منها حملة الكونت أورييلي 1775م لكنه لم يفلح في قذف مدينة الجزائر، وأرغم على الانسحاب بمعظم قواته، مما جعل شارل الثالث بعد هذه الهزيمة

<sup>1</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 235.

<sup>2</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 235.

<sup>3</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 235.

<sup>4</sup> بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية، دار الفناس الجزائر، ط 3، 1986، ص 134.

من اللجوء إلى محاولة الصلح مع إيالة الجزائر عن طريق الوساطة العثمانية، لكن الداي محمد باشا رفض ذلك وأصر على تمكّنه بتخلي الإسبان أولاً عن وهران.<sup>1</sup>

رغم هزيمة أورييلي في حملته الأولى إلا أنه لا يزال يفكّر في الانتقام، فأخذ في تجهيز حملة عسكرية مستغلًا في ذلك الظروف الدولية الصعبة التي تتعرّض لها إيالة الجزائرية في تكالب معظم الدول الأوروبيّة ضدها وضد قوّاتها البحريّة، إضافيًّا لرفض الجزائر عقد أي صلح مع إسبانيا ولم تقم هذه الأخيرة بالانسحاب نهائياً من وهران والمرسى الكبير، أُسندت قيادة الحملة إلى أنطونيو بارسلو الذي غادر قرطاجنة يوم 23 جويلية 1783 وحين وصوله إلى المدينة قذفها بوابل من القذائف بلغت 7585 قذيفة، لكنه عجز عن النيل من حصونها وقوّة دفاعاتها، مما اضطر إلى الانسحاب.<sup>2</sup>

لقد كان هذا الهجوم آخر الهجمات الإسبانية، التي توجّت بالفشل جعل الآلة дипломاسية تتحرك في عقد الصلح مع إيالة الجزائر عن طريق القنصل الفرنسي كرسى De Kercy بالتوسط لها بالصلح، لكن الداي كان رافضاً تماماً للصلح، ونظراً للجهود المكثفة من قبل القنصل الفرنسي، وقع الصلح في الرابع عشر من جوان 1786م كانت إيالة الجزائر المستفيدة من هذا الصلح بحكم عدد الأسرى الذين كانوا بحوزتها والمقدر بألف وثلاثمائة وخمسون أسيراً إسبانياً، باعوا بقيمة ألف ريال للأسير الواحد.<sup>3</sup>

فتحت هذه الاتفاقية آفاقاً جديدة في العلاقات الجزائرية - الإسبانية بالتقارب الجزائري الإسباني بتتبادل العديد من المحادثات والمراسلات بين البلدين بشؤون الأسرى التي كللت بإبرام معاهدة صلح 1792 تم بموجبها الجلاء النهائي للإسبان من وهران والمرسى الكبير. وحصول إسبانيا على بعض الامتيازات الاقتصادية،<sup>4</sup> ورغم إمضاء هذه المعاهدة فلم يتم احترامها من الإسبان، وهذا ما استوحيناه من خلال الرسالة التي وجهت من الداي حسن إلى الملك كارلوس الرابع بتاريخ 06 مارس 1793م بعدم احترام إسبانيا لشروط الصلح: "على كل باخرة أن يكون لها جواز خاص بها حتى يتم احترامها من طرف البحارة" حيث عثر الرياس الجزائريون على إحدى السفن لا تحمل الجواز مما تم حجزها فاحتاج على إثراها

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية...، م سابق، ص 102.

<sup>2</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 242.

<sup>3</sup> سامح الترزي، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط 1، 1989، ص 545.

<sup>4</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 268.

القنصل الإسباني ومراعاة للصداقة بين البلدين (على حد قول الداي حسن) تم إطلاق سراح المركب.

### ثالثاً: مع إنجلترا

تبنت إنجلترا أسلوب الحرب على الجزائر وذلك بسبب استمرار في اعتراض مراكبها وأسر طاقمها مما جعل إنجلترا تفضل تغليب القوة في شن العديد من الحملات العسكرية منها حملةالأميرال كيبيل Kibell<sup>1</sup>، 1749 بعدما صدرت الجزائر سفينتين إنجليزيتين مع حمولتهما (تمويل القبائل بالبارود)، وعند الأسطول الإنجليزي إلى مدينة الجزائر يوم 09 أكتوبر 1749 قدم كيبيل شكوى إلى الديوان فأعطاه هذا الأخير جواباً مقنعاً وو عده بإرسال سفيرين إلى إنجلترا لبحث الموضوع وفعلاً تم بعث شخصيتين من طرف الديوان في 10 جويلية 1750 م.

عاد كيبيل مرة ثانية إلى الجزائر ومعه أربعة سفن حربية، لكن الداي رفض الدخول في مفاوضات معه قبل رجوع سفراه، وفي 16 سبتمبر 1750 شوهد الأسطول الإنجليزي مرة أخرى أمام الجزائر، وبعد يومين من وصوله عقد الديوان اجتماعاً، وأصر الأميرال كيبيل على الدخول إلى ديوان متقدماً سيفه ورفض تقبيل يد الداي، مطالباً بامتيازات مماثلة لفرنسا غير أن الداي رفض مطالبه وأنهى المفاوضات بتسلیمه عشرون أسيراً.<sup>2</sup>

وأشار كاثكارت إلى أن السفن الجزائرية أسرت اثنين وعشرين سفينية شراعية بريطانية بالإضافة إلى أكثر من مائة سفينة لصيد المرجان، أثار هذا الأمر امتعاض إنجلترا، ويقول كاثكارت: "...أما القنصل البريطاني فقد كان يلطف الجزائريين ويهؤهم أحياناً، ويت وعدهم بانتقام بريطانياً وعقابها أحياناً أخرى...".<sup>3</sup>

في يوم 25 ديسمبر 1795م وصلت بارجتان بريطانيتان إلى ميناء الجزائر وعلى متنها اللورد فريد نورث المبعوث الخاص من طرف ملك بريطانيا لدى داي الجزائر، وقد تمكن هذا المبعوث البريطاني في يوم 27 ديسمبر 1795 من تسوية النزاع الجزائري – البريطاني مع الداي وأهم ما جاء في هذا الاتفاق:

<sup>1</sup> وولف جون بابتست، الجزائر وأوروپا...، م السابق، ص 329.

<sup>2</sup> الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام،...م السابق، ص 494.

<sup>3</sup> كاثكارت جيمس ليندر، مص السابق، ص 231.

- لا تعاد السفينة الأسرية التابعة لجبل طارق وبحارتها إلا بعد دفع الفدية.
- تدفع الحكومة البريطانية مبلغ 600 دولار إسباني فدية لكل واحد من الأسرى البالغ عددهم 195 أسيرا في قبضة الإيالة.

## النتائج المتوصّل إليها:

إن النتائج المتوصّل إليها من خلال دراسة العلاقات الدبلوماسية في إطار التعرّف على القنصليات الأجنبية في إيالة الجزائر ودورها في خدمة قضايا الأسرى ما بين 1789-1830 م هو إثبات للعلاقات بين الإيالة ودول الضفة الشمالية للمتوسط، علاقات تحكمت فيها الظرفية السياسية الدبلوماسية والمصالح التجارية وتزايد عدد الأسرى (الجهاد البحري) في كلا الجهتين، هنا سنحاول وضع الخلاصات الأساسية التي توصلنا إليها من خلال دراسة هذا الموضوع الشائك، بحكم الموقع القريب من أوروبا أثر على إيالات شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة.

يمكن حصر النتائج المتعلّق عليها فيما يلي:

- قوّة الدور الريادي لـإيالة في فرض سيطرتها على الساحة الدوليّة بتحكّمها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، مقابل ارتکاز الدول الأوروبيّة لا سيما القوى البحريّة (إنجلترا، فرنسا، وهولندا) على منطق المعاهدات المبني على أسس قانونيّة التي تبقى الأوروبيّة.
- استخدام القوى الأوروبيّة القانوني البحري للضغط على إيالة الجزائر وإيالات شمال إفريقيا الذين استغلوا العمل البحري (القرصنة) لمواجهة الهجمات والأساطيل الأوروبيّة.
- انفتاح الإيالة وبالاخص عاصمتها على العالم الخارجي بتوفّر أسباب الاستقطاب واستمرار قنوات التواصل بمختلف أشكاله (تجارة، أسرى) أدى إلى زيادة مصادر الثروة لـإيالة (افتداء الأسرى، الهدايا والإتاوات) أدى إلى التسامح الديني في الإيالة إلى استقطاب العديد من الأقلّيات اليهوديّة والمسحيّة، والأعلاج إلى التعايش بين هذه الفئات مع الاحتفاظ بخصوصيّة كلّ مجموعة (يهوديّة أو مسيحيّة)، في إطار ظهور أنماط وتقنيات دخلة على المجتمع الجزائري.
- التأثير ببعض الأنماط الأوروبيّة من خلال المواد الاستهلاكيّة التي تعكس الرفاهيّة التي راج استعمالها لدى العناصر النافذة مثل (الشرائف، المناديل الحريريّة)، إما عن طريق التجارة أو الهدايا المقدمة من طرف السلّك الدبلوماسي.

- اعتماد الإيالة في مجال الهدايا إلى الدول الأوروبية على السفن الأجنبية و في مقدمتها السفن الفرنسية بسبب طبيعة العداء الذي تكね الدول الأوروبية للبحرية الجزائرية مما يفسر تبعية الإيالة في النقل البحري.
- كثرة المعاهدات المبرمة بين الإيالة والدول الأوروبية لـه دليل على مكانة هذه الإيالة من بين الإيالات المتوسطية الأخرى ودورها في تحقيق التوازن السياسي، الدبلوماسي، والعسكري.
- قوة واستمرارية الأسطول الجزائري في نشاطه البحري رغم التهديدات والحملات، مما دفع بالدول الأوروبية إلى رفع الإتاوات والهدايا لإيالة الجزائر في العديد من المناسبات بغضون الوصول إلى معاهدة السلام، أو عند تنصيب فنصل جديد أو عند افتداء الأسرى.
- استغلال السلك الدبلوماسي (القناصل) استراتيجية أسلوب الهدايا والإتاوات للتقارب من الشخصيات النافذة في الإيالة من معرفة الشؤون الداخلية وعلاقاتها الخارجية لحماية مصالح دولهم.
- تواجد التمثيل الدبلوماسي في إيالة الجزائر في شخصية القناصل يدخل في أدبيات المذكرات والمراسلات الاستخباراتية لتحقيق مشروع أوروبا الاستعماري ومحاولة هؤلاء القناصل التقصي واستكشاف مواطن الضعف من أجل السيطرة عليها.
- التزام إيالة الجزائر سياسة الحياد الإيجابي بالرغم من تلك الدسائس التي كانت تحاك في الكواليس لضرب القناصل بعضهم ببعض وبالتالي ضرب مصالح الدول التي يمثلونها ومحاولة جر الإيالة في تلك الصراعات الأوروبية باعتبارها شريكاً متوسطياً.
- استفادة إيالة الجزائر من مداخل علية الافتداء من جراء تفوق الأسطول البحري الجزائري وتقنيات انتقاء الأسرى حسب الأصناف المختلفة ذات المكانة الاجتماعية المرموقة والمهن المتنوعة والترويج لها في إطار صفقات تجارية (تجارة الأسرى).
- سيادة الطابع الديني المسيحي في عملية الافتداء للأسرى سواء قنابل لهم انتقامات لرجال الدين أو تنظيمات الغرض منها إنقاذ وإبعاد هؤلاء الأسرى من اعتناق الإسلام وبقاءهم على دينهم.

- كثيراً ما أخذت الدول الأوروبية الأسرى كذریعة لتدخل في مفاوضات مع إیالة الجزائر، وذلك حتى تمهد لها الطريق في الحصول على امتیازات مهمة، ومن جهة أخرى كان الأسرى أحد العوامل التي رسمت علاقات جديدة بين الإیالة والدول الأوروبية، وفتحت آفاقاً جديدة في العلاقات.
  - قرارات مؤتمر فيينا 1815 الداعية بضرورة القضاء على مسألة الاسترقاق والحملات التي جاءت لتعبر عن هذا القرار، فندتها الحالة المعيشية للأسرى بالجزائر بتكونين لأنفسهم طبقة اجتماعية مهمة.
  - اتخاذ الدول الأوروبية مسألة الاسترقاق كذریعة لضرب الجزائر.
- ما تقدم يظهر أنه لم يكن للإیالة آلة دبلوماسية هادفة لتحقيق مصالحها التجارية والسياسية والبحرية، عكس الدبلوماسية الأوروبية التي جعلت منها آلة لتحقيق أهدافها على أساس منطق التفوق والغلبة على العالم الأخرى من خلال سياسة الضغط والمعاهدات المفروضة بعد الحملة الإنجليزية بقيادة إكسموث والمعاهدة الأمريكية وانتهاء معاهدة 05 جويلية 1830م.

## **المصادر المطبوعة باللغة العربية:**

- القرآن الكريم
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر. زاد المعاد في هدى خير العباد. الجزء الثالث (القاهرة: دار الآثار للنشر والتوزيع، 2005).
- الزهار أحمد شريف، مذكرات أحمد الزهار نقيب أشراف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1974.
- شالر ولIAM، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 – 1824، تحقيق اسماعيل العربي، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982).
- كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة اسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
- حمدان خوجة، المرأة، تقديم وتعليق، محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982م.
- المحامي فريديك، تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان تقي، (بيروت: دار النفائس، 1981).
- محمد الكاتب، دفتر التشريفات من الداي شعبان 1103 إلى الغزو الفرنسي ، مخطوط 1649 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

- Balvin, J, La condition de la vie des français dans la régence d'Alger, Alger, 1899.
- Belhamisi Moulay, Alger la ville au mille canons, (Alger : ENL, 1990).
- Boyer Pierre, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, (Paris : Hachette, 1963).
- Busquet Raoul, Les origines du consulat de la nation Française à Alger, Marseille, 1927.
- Charl es-Roux, F. France et Afrique du nord avant 1830. (Paris : Ed Félix Alcan, 1918).
- Chaillou Lucien, Textes pour servir à l'histoire d'Algérie au XVIIIe siècle. Suivi de la guerre de quinze heures. Touton (SD).
- Devoulx. A. Les archives du consulat général de France à Alger. (Alger : Bastide, 1865).
- Fey, Lean. Histoire générale de l'Algérie. Alger, 1900.
- Grammont, H, D, De. Histoire d'Alger sous la domination Turque (Paris : Ed le Roux 1887).
- Grammont, H, D, De. Correspondance des consuls d'Alger (1640-1742). Alger : Jourdan, (Paris : E. le Roux, 1890).
- Louis cara de Lsguila. Les Espagnols en Afrique, Les relations politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786 à 1830. Thèse de doctorat 3<sup>ème</sup> sicle. Professeur M.Perez, université de Bordeaux III, 1977.

- Peysonnel, J.A et Desfontin, voyage dans la régence dans Tunis et Alger. Paris : Ed Guide, 1838.
- Plantet Eugene, correspondance des Deys d'Alger avec la cour de Franc 1579 – 1833, Paris, 1889.
- Plantet, E. Les consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830),(Paris : Extrait des études, 1930).
- Tssy Laugier. Histoire du Royaume d'Alger. (Paris : Ed Laysel, 1992).

## المقالات باللغة الفرنسية

- Bardoux, J : « La vie d'un consul auprès de la régence d'Alger ». R.A, 1924, p p, 261 -286.
- Berbrugger, A : « La régence sous le consulat et l'empire ». R.A, 1865, p p 401-414.
- Berbrugger, A : « Les consuls d'Alger pendant la conquête de 1830 ». R.A, 1865, p p 57 – 60.
- Devoulx, A : « La régence sous le consulat et l'empire ». R.A, 1865, p p
- Devoulx, A : « Un incident diplomatique à Alger en 1750 ». R.A, 1872, p p 81-88.
- Devoulx, A : « Relevé des principaux Français qui ont résidés à Alger de 1686 à 1830 », R.A, 1872, p p 356 – 387.
- Grammont, H, De : « Correspondance des consuls de France d'Alger », R.A, 1887, p p 161 -212.
- Grammont, H, De : « Relation entre la France et la régence d'Alger au 17<sup>ème</sup> siècle ». R.A, 1879, p p 5-32.p p, 95-114.
- Grand champ : « le baise main des consuls à la cour de Tunis », R.A, 1945, p p 291-292.
- PestimalJoglou : « Le consulat Français d'Oran de 1732 à 1754 », R.A, 1942, p p 220-254.
- Playfair, R,L : « Histoire des relation de la Grande-Bretagne avec les états Barbaresque ». R.A, 1878, p p 320 – 410 – 433.
- Watbled, Ernest : « Aperçus sur les premiers consulats Français dans levant et les Etats Barbaresques ». R.A, 1872, p p 20 – 34.

## المراجع باللغة العربية:

- ايروين.و.راي. العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة ، 1776-1816، ترجمة اسماعيل العربي، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978).
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، (بيروت: دار الثقافة، 1986).
- التازي عبد الهادي، التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، (المجلد الأول، السابع، الحادي عشر) المحمدية: مطبع خصالة 1986.
- الزبيري العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792 - 1830 (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981).
- بنور فريد، المخطوطات الفرنسية اتجاه الجزائر 1782 - 1830 الجزائر: مؤسسة كوشار للنشر والتوزيع، 2008.
- بوعزيز يحي، المراسلات الجزائرية- الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780-1798، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، (الجزائر الحديثة)، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999).
- بركات جمال، الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، (القاهرة، 1991).
- جيمس ولسن ستيفن، الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1797-1785، ترجمة علي تابليت (الجزائر: منشورات ثلاثة، 2008).
- سبنسر ولIAM، الجزائر في عهد رياض البحر ، تعریب و تقديم عبد القادر زیادیة، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980).
- سعیدونی ناصر الدین، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1966).
- سعیدونی ناصر الدین، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في العهد العثماني، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006).

- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985).
- شويتامارزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830)، (الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 2009).
- شويتامارزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، العثمانية 1519-1830، (الجزائر: دار الكتاب العربي، 2010).
- عطا محمد صالح زهرة، أصول العمل الدبلوماسي و القنصلي، (الرباط: دار النشر، 1985) الطبعة الأولى.
- عمورة عمور، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)، الجزء الثاني، (الجزائر: دار المعرفة، 2006).
- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987).
- قنان جمال، العلاقات الفرنسية - الجزائرية 1792-1830، (الجزائر: منشورات متحف المجاهد).
- قادری حسين، الدبلوماسية و التفاوض، (الجزائر: منشورات خير جليس، 2007).
- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، (الجزائر: دار هومة، 2007).
- قدوري عبد المجيد، التاريخ و الدبلوماسية قضایا المصطلح والمنهج، (الرباط: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 2003).
- مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، (القرصنة، الأسطول الواقع)، (الجزائر: دار القصبة، 2009).
- نعنعي عبد المجيد، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة 1848-1453، (بيروت: دار النهضة، 1987).
- وولف جون بابتست، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة أبو القاسم سعد الله (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة 2009).

- ياغي اسماعيل وعبد الفتاح حسن أبو عليه، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر،  
(الرياض: دار الفتح، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية).

### الرسائل الجامعية

- شقرنون جيلالي، العلاقات الدبلوماسية بين إبالة الجزائر و الولايات المتحدة الأمريكية 1776-1830م، رسالة ماجister، إشراف د. عبد المجيد بن نعيمة،  
جامعة وهران، قسم التاريخ و علم الآثار، 2002-2003.

- محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية - الفرنسية، رسالة ماجister في التاريخ الحديث، إشراف أ.د.  
عمار بن خروف، جامعة غرداء، قسم التاريخ، 2012.

- خشمون حفيظة، مهام مفدي الأسرى والتزاماتهم المعيشية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجister في التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، إشراف أ.د.كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ، 2007.

- بليل رحمنة، العلاقات التجارية لإبالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيليا وليفورن من 1700-1827م، رسالة ماجister، إشراف: أ. فغرور دحو،  
جامعة وهران، 2001-2002.

- بوشنافي محمد، الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني 1700-1830م، رسالة ماجister، إشراف: أ. بلقاسمي بوعلام، جامعة وهران، 2001-2002.

## المقالات باللغة العربية

- اسماعيل العربي: "دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الديايات"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ديسمبر 1974، العدد 12.
- المازري بديرة: "الجزائر و السويد، تجارة عالمية وصراعات دولية 1729-1830 حسب مصادر سويدية"، المجلة التونسية، العدد 101، 1990، ص 33-76.
- بوعزيز يحيى: "وساطة السلطان محمد بن عبد الله بين الجزائر و إسبانيا 1768-1784"، أعمال الندوة: مصطفى مولاي رشيد ص ص 83-93.
- تابليت علي: "الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785 - 1797 - 1797، حوليات جامعة الجزائر، العدد 03، 1989-1988، ص ص 193 – 207.
- تابليت علي، "الفصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796 – 1797 جون بارلو " مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 09، 1995، ص ص 45-57.
- زكية زهرة: " مهمة القنصل الإنجليزي بلانكلاي في الجزائر 1805 – 1812"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 04، جويلية 1975 ص ص 105-112.
- سلفاتوربونو: " العلاقات بين الجزائر و إيطاليا خلال العهد التركي"، ترجمة أبي القاسم بن تومي، مجلة الأصالة، العدد 6-07، ص ص 113-118.
- شويتاما رزقي: " التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18-19 وموقف الجزائر منه" ، حولية المؤرخ، العدد 04-3، 2005، ص ص 161-183.
- محمد الأمين: " القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر" ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد 21، ديسمبر 2000، ص ص 23-36.

## Consuls de France :

- Bertholle 1564
- sauron 1577
- Bionneau 1581-1585
- De Vias 1597-1608
- Chaix (vice consul) gestion du consulat 1608-1622
- De Vias Balthazar 1626-1628
- Thomassin Francois consul suppléant 1628
- Dubourdieu P-Jean 1661-1672
- Arvieux 1674-1675
- Le Vacher 1675-1683
- Piolle André 1685-1688
- Dussault Denis
- Mercadier Barthelemy 1689-1690
- MercadierFrançois ( chancelier) 1686-1690
- Le Maire René 1690-1697
- Clairaumbault Jean 1706-1717
- Baume,M 1717
- Duran Philipe-Jacque 1698-1705
- Durand Antoine Gabriel ( chancelier A705) consul 1720- 1730 .
- Baume Jean nommé en 1716 et arriva a Alger en 1719
- Loup Lazarre consul suppléant 1719-1720
- Natoire Thomas chancelier et gera le consulat 1718
- Delane Leon 1730-1732
- Le Maire Benoit 1732 – 1735
- De Jonville Thomas 1733 chanclier n1743
- Taitbout Alexis-Jean-Eustache 1735-1740
- Devant Fronçois 1742-1743

- Le Maire André Alexandre 1749-1755
- Bossu 1756-1757
- Perou Joseph-Barthelemy 1757-1760
- Groiselle Theodore consul provisoire 1760-1763
- Vallire Jean Antoine 1762-1774
- La vallee Langoisseur 1774-1782
- Kercy Jean Batiste-Michel Guyot De 1782-1791
- Valliere Cesaire-Philippe 1791-1796
- jean -Bon Saint-André 1796-1798
- Moltedo Dominique-Marie 1798-1800
- Dubois-Thainville 1800-1814
- Duval Pierre 1814-1827

## Consuls Anglais

- Jonhn Tipton
- Johhn Audelay 1600-1605
- Richard Allen 1606-1609
- Frizell James 1611-1620
- Ford Richard 1620-1622
- Frizell James 1622-1638
- Humphrey Oneby 1648-1653
- Edmon Caso 1653-1654
- Brown Robert 1655-1664
- Parker Nicolas 1664-1673 provisoire
- Ward John 1666 -1673
- Samuel Martin 1673-1680
- John Nevill 1683-1684 provisoire
- Reyeaut Philip 1683-1684
- Erlisman John 1689-1690
- Baker Thomas 1690-1694
- Cole Robert 1694-1712
- Hudson Charles 1720-1728
- Blacke Charles 1729-1739
- Stanyford Ambrose 1741-1752
- Aspinall Stanhope 1754-1761
- Bruce James 1762-1765
- Falcon 1800-1802
- Blancklay 1806-1812
- Mc Donnel 1813-1824
- St-Jean Robert william 1827-1830

## Consuls de Holland :

- Wijnant De Keyser 1616-1626
- Pieter Marttenz Coy 1626-1629
- Andries Van Der Burgh 1664
- Thomas Hees 1675-1680
- Jocobus Tollius 1680
- Carel Alexander Van Berk 1681-1682
- Cristofeel Maltias 1684-1686
- Johan Van Baerle 1712-1716
- Ludovius Hameken 1726-1732
- Paulus Paravicini 1733-1755
- François Levell 1757-1760
- Robert Ghuthrie 1760-1761
- Pieter Ellinkhysen 1762-1773
- Simon Rijis 1774-1784
- Antoine Pierre-Fraissinet 1785-808
- Antoine Fraissinet 1808-1810
- Antoine Joseph-Fraissinet 1816-1830

: ٤

Gerard Van Krieken .Corsaires et marchands .Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604-1830 .(Paris :Ed Bouchene,2002) .

## Consuls de Suède

-Logié George 1729-1759

Brandel E, 1759-1791

-Skoldebrand Mattias 1791-1801

-Norderling 1801

-Ankarloo 1816-1830

## قائمة المسؤولين

### Consuls Américains :

-Joel Barlow 1796-1797

-O'Brian Richard 1798-1803

-Thobias Lear 1803-1812

-Shaler William 1816-1824

١٤٦٦  
٢٣

الذى فتح العلامينك للجهازى كما سبق لهم بعد

<u>بولقاده</u>	<u>شومنه</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بنها</u>
<u>١٤٦٦</u>	<u>١٥</u>	<u>١٤٦٦</u>	<u>١٦</u>
<u>بولقاده</u>	<u>شومنه</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بنها</u>
<u>١٤٦٦</u>	<u>١٦</u>	<u>١٤٦٦</u>	<u>١٧</u>
<u>بولقاده</u>	<u>شومنه</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بنها</u>
<u>١٤٦٦</u>	<u>١٧</u>	<u>١٤٦٦</u>	<u>١٨</u>
<u>بولقاده</u>	<u>شومنه</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بنها</u>
<u>١٤٦٦</u>	<u>١٨</u>	<u>١٤٦٦</u>	<u>١٩</u>
<u>بنها</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بولقاده</u>	<u>بنها</u>
<u>١٩</u>	<u>٢٠</u>	<u>١٩</u>	<u>٢١</u>
<u>بنها</u>	<u>بولقاده</u>	<u>اسبيجينات</u>	<u>فنشار</u>
<u>٢١</u>	<u>٢٢</u>	<u>٢٢</u>	<u>٢٣</u>
<u>فنشار</u>	<u>لونه بطبع باز تغشى شفاف</u>	<u>طحول</u>	<u>٤٠٩</u>
<u>٢٣</u>	<u>٢٤</u>	<u>٢٤</u>	<u>٤١٠</u>
<u>فيني كلونه شفاف</u>	<u>بايجنات</u>	<u>البر</u>	<u>٧٣٤</u>
<u>٢٤</u>	<u>٢٥</u>	<u>٢٥</u>	<u>٢٦</u>

محبته حوله كع ضده بولقاده

١٨  
١٩  
٢٠

غضبه بولقاده

اذكر العاب الحجى زير و لدار الباشا خمسة ضماده التفصيف  
او نيمى صفة كه محلوه ضماده  
٢١  
٢٢  
٢٣  
٢٤  
٢٥

حساب مرتبه شفاف دا خار الفانقو طادر شرس ٣٤  
١٨

الف و مائة و تسعين و رود حينما ينبع بالدجاج بسأله

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

برائعته بحقیقیت

## رعنی شیخ ابو الفلاح حکیم فومنه

## رسالة جوقة مات كل فهو منه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لیوشنف للبای بیغوار خرابع عدد  
لیپ للفلوج شفف خرابع عدد  
لای خود رابع ای خوش

ستة ألاف و مائتين و عشرين كيلو و رود المسجور بالمحاصيل بيانها  
اللارود فناطحين ججرات بونيه فناطحين  
١١٥٠ ١٠٠ ٤٥

لیں مدد و مدد اڑھائیں گے لفڑا خلیل فتح نگار اڑھائیں

وَكَرْفَافٌ لِلْفَرَاطِيْلَهُ فَنَّهَارٌ ارْخَالٌ فَرَوْعَادٌ فَنَّهَارٌ ارْخَالٌ

**الأخيلكار** ~~عدد~~ خلع لونه ثيبقى ندراء صفر لونه شفاف

رائني عقلي بولغا دا كل قوم منه

مسعده بولقادات  
تمانیه بولقادات

- ج
- ورود و رکب دینه که بدانشیما، پیاپی هر جهت
- ۱) فراطینارود خن طبیعی
- 
- ۲) بلاجات رحاص خن طبیعی
- ۳) ترنکه مسماه خن طبیعی ارهاں
- ۴) قبیلیات مریعی خن طبیعی ارهاں
- ۵) بیچی میں فنکار ارٹیں
- ۶) شفوق لونہ فدوع عزیز
- ۷) باز رفیق للہما بیقو فنخن
- ۸) لوح کیسر لقراطینا الکبار
- ۹) لوح لقراطینا الصفار
- ۱۰) لوح النبیکین
- ۱۱) لوح النبیکین بولقا
- ۱۲) لوح النبیکین بولفا
- ۱۳) لوح روبلو بولقا
- ۱۴) لوح روبلو بولقا
- ۱۵) لوح روبلو بولقا
- ج

الصالح مع حماية الصناع مقابلة خطب المهاجمات في شعبار ١٤٩

لآخر مداعع جديد طوابط عبادة طوابط العصا  
١٥٠

الصلوة كورك اسبه جينات قصص كبار  
١٥٠

الفلوع سوچ صنوس سوچ روبلو فوج كريضيكي فراك فلوران  
١٩٠  
مريليف اغاجيخته سوچ مکانه سوچ ريج بيسن  
١٥٠

Etat des dépenses que le Sénat Consul  
 de France à Alger a été obligé de faire au  
 pays et aux officiers des services de la République  
 lors de son arrivée dans la Ville.  
 par  
 l'arrondissement

Précis des dépenses

Drey	1. achat d'une Daimler achetée à Alger	1319. 10.	2012. 10.
	2. achat d'une étoffe de tissu noir	450.	
	3. achat d'un berline	243.	
Synayji	4. achat d'une étoffe dorée	405.	595. 19.
	5. achat d'une Daimler croisière	69. 9.	
	6. achat d'une berline	120. 10.	
Kilangy	7. achat d'une étoffe dorée	405.	595. 19.
	8. achat d'une Daimler	69. 9.	
	9. achat d'une berline	120. 10.	
Cecivac	10. achat d'une Synayji dorée	360.	550. 19.
	11. achat d'une Daimler	69. 9.	
	12. achat d'une berline	120. 10.	
Chenay	13. achat d'une étoffe dorée	360.	681. 10.
	14. achat d'une berline	120. 10.	
	15. achat d'une Synayji dorée	360.	
Agar	16. achat d'une Daimler	69. 9.	370. 19.
	17. achat d'une berline	120. 10.	
	18. achat d'une grande étoffe brisée dorée	180.	
l'amiral	19. achat d'une Daimler	69. 9.	301. 10.
	20. achat d'une berline	120. 10.	
	21. achat d'une grande étoffe brisée dorée	180.	
ordre Bachy	22. achat d'une Daimler	69. 9.	404. 19.
	23. achat d'une berline	120. 10.	
	24. achat d'une grande étoffe brisée dorée	180.	
G. G. Cecivac	25. achat d'une Daimler	69. 9.	190. 19.
	26. achat d'une berline	120. 10.	
	27. achat d'une grande étoffe brisée dorée	180.	
grand Caius	28. achat d'une Daimler	69. 9.	614. 10.
	29. achat d'une berline	120. 10.	
	30. achat d'une grande étoffe brisée dorée	180.	



Debts to the War

61/11. 12.

au second cuisinier 2. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	Co. 15-
au Drôle de Bahey - 4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	121. 10-
au Larivain de la Rose 2. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	Co. 15-
au Drôle de Talmeyry - 2. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	Co. 15-
aux deux Comptadors	
Maurer 4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	121. 10-
au Larivain double	
au Drôle de Moudrey 4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	121. 10-
aux deux Larivains	
Maurer 4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	121. 10-
aux 3. gardes du Roi	
au Drôle de Bourre 4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	121. 10-
2. 16. capi. (leine de la Régence) 33. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	911. 6-
aux Drôgues - 13. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	3 Ch. ..
au Cazaudas de la Coûte 2. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan	Co. 15-
au Capitaine du Poë 4. aut. $\frac{1}{2}$ gros Detour broché or 180. {	210. 15-
Poë 2. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan } 60. 15. }	
au Drôle de la Nation Cinq vautes. Seignies	540. - 15.
Distribué à la Porte du Roi pour l'usage - 567.	
aux deux frères d'ddy	
Préfent de courtoisie	9615. 17.
g. aut. gros Detour broché or 360. #	
g. aut. Sedan 243.	
603.	
au Drôle de Vekilery	
accompagné de au garde - 4. aut. $\frac{1}{2}$ étoffe dor 360. } 481. 10. }	1084. 10.
4. aut. $\frac{1}{2}$ Sedan 121. 10. }	
10700. 7	

Cy contre —  
S'effeuiller

au Vétilogy de

Vétilogy des Marins 2. aut.  $\frac{1}{2}$  Sedan — 60. 15. 1

au b. gardien des

Bagnes — 11. aut.  $\frac{1}{2}$  Sedan — 303. 6.

au b. sou' gardien 5. aut.  $\frac{1}{2}$  Sedan — 151. 17. 6.

aux 2 Cap<sup>ts</sup> des Galeres 4. aut.  $\frac{1}{2}$  Sedan — 121. 10.

au chef des Boubordier

et au Coquardor de la

Douane — 4. aut.  $\frac{1}{2}$  Sedan — 121. 10.

au gardien du riv. 1. aut.  $\frac{1}{2}$  idem — 30. 7. 6.

au chev<sup>ts</sup> Stachy

et au M<sup>o</sup>. Confiseur 4. aut.  $\frac{1}{2}$  Douane — 121. 10.

au second Confiseur

au Cap<sup>t</sup> Huvelange

des English et au M<sup>o</sup>.

Cordier — 6. aut.  $\frac{1}{2}$  idem — 182. 6.

au Vétilogy des

Laines et a celles de

la Maifoudre ~~Aug<sup>st</sup>~~ Day 4. aut.  $\frac{1}{2}$  idem — 121. 10.

30. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

121. 10.

Total — £. 1191.

## تصريح لصاحب سمو داي الجزائر 1816

لقد وقع تصریح ف شهر اغسطس 1816 من طرف سلفنا صاحب السمو  
عمر باشا ، للتبیل ، البارون اکسوث ، ينص على أن سموه يتلزم ، في  
حالة حرب مع دول أروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود  
ال العبودية ، بل يعامل الاسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم اسرى  
حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عادلة على أساس المسؤول به بين  
الدول الأروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احترام  
روح هذا التصریح ونصله بكل أمانة .

أكده وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ،  
بشهادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 ، الموافق ذو القعدة ، سنة 1239  
هجرية .

ختم الدای

دُوَّنْسُر

ماکدونل

## قائمة السفن الحربية التي تشكل الأسطول المشترك الإنجليزي

الجرحى	القتلى	عدد المدافع	
131	8	100	Queen Charlot
160	60	98	Impregnable
84	8	74	Superb
37	7	74	Nilen
20	3	74	Albion
118		50	Lander
34		40	Severn
37	60	40	Glasgow
42	16	36	Granicus
15	4	36	Hebrus

مراكب شرامة حربية وحيدة الصاربة لا قتيل ولا جريح

Heron
Mutine
Prometheus
Cordelia
Brillomary

17 2 ( قاذفة قنابل ) Infernal

( قاذفات قنابل ) لا قتيل ولا جريح .

Belzibub
Hecle
Fury

### الأسطول البولندي

الجرحى	القتلى	عدد المدافع	
15	3	40	Melanpus
5	0	44	Frederica
4	0	36	Dagazad
22	6	40	Diana
6	4		Amstel
		24	Andracht

والجرحى 695

والجرحى 52

مجموع الجرحى 747

القتلى من البريطانيين 138

• البولنديين 13

مجموع القتلى 151

# الفهرس

	.....	الآدلة
01	.....	مقدمة.....

## الفصل الأول: علاقات الجزائر مع الخارج

09	.....	المبحث الأول: أهمية البحر المتوسط والصراع الدولي .....
11	.....	المبحث الثاني: مظاهر قوة البحرية الجزائرية .....
16	.....	المبحث الثالث: الجهاد البحري و أثره في تزايد عدد الأسرى .....
21	.....	المبحث الرابع: مكانةالجزائرالدولية .....

## الفصل الثاني: التمثيل дипломاسي والقنصلي في إیالة الجزائر

24	.....	تعريف الدبلوماسية .....
27	.....	المبحث الأول: جذور القنصليات الأجنبية بـإیالة الجزائر .....
33	.....	الأوساط المتحكمة في تعين القنصل ..... الأوساط التجارية .....
33	.....	الوسط الانجليزي .....
34	.....	الوسط الفرنسي .....
36	.....	الوسط الديني .....
40	.....	المبحث الثالث: دور ومهام القنصل ..... رعاية صالح رعایاهم و إطلاع حکوماتهم .....
40	.....	رعاية صالح رعایاهم (الأسرى والأحرار) .....
42	.....	اطلاع حکوماتهم .....

45	دور القناصل في افتداء الأسرى .....
47	دور القناصل في حماية التجارة .....
50	دورهم القضائي .....
53	المبحث الرابع : قناصله القرن 18م .....

### **الفصل الثالث: المعاملات والبرتوكولات القنصلية**

57	المبحث الأول: تحيات الماجملة .....
64	المبحث الثاني: الأفضلية والحسانة الدبلوماسية .....
66	الأفضلية .....
64	الحسانة الدبلوماسية: ImmunityDiplomatic .....
71	المبحث الثالث: هدايا القناصل والقنصليات الأجنبية .....
78	المبحث الرابع : إقامات القناصل .....
78	إقامة الصيف (الريف) .....

### **الفصل الرابع: مسألة الأسرى في الجزائر**

83	المبحث الأول : السجون في الجزائر .....
83	وصف السجن .....
84	سجن البايلك .....
84	سجن جاليرا(القاليرا) .....
84	سجن سيدى حمودة .....
84	المبحث الثاني: أوضاع الأسرى في الجزائـر .....
84	أولا- توزيع الأسرى .....
87	ثانيا: عملية بيع الأسرى .....
88	ثالثا: أعمال الأسرى .....

90	المبحث الثالث: تحرير و افتداء الأسرى .....
90	أولاً: إجراءات الافتداء.....
90	جمع أموال الفداء.....
93	التفاوض من أجل افتداء الأسرى .....
94	ثانياً: طرق الافتداء .....
94	دور القساوسة والتنظيمات المسيحية في الافتداء .....
95	تبادل الأسرى .....
98	المبحث الرابع: تأثير قضية الأسرى في العلاقات الجزائرية – الأوروبية.....
98	الخاتمة.....
105	قائمة الملاحق.....
109	المصادر المطبوعة باللغة العربية.....
110	المراجع باللغة العربية.....
112	الرسائل الجامعية.....
113	المقالات باللغة العربية.....
114	المصادر والمراجع باللغة الفرنسية.....
116	المقالات باللغة الفرنسية.....